قيم الوسطية والاعتدال في نصوص الكتاب والسنة

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٥٧٦ السنة الثامنة والأربعون - ذو الحجة ١٤٤٠ هـ

الثمن ٥ جنيهات

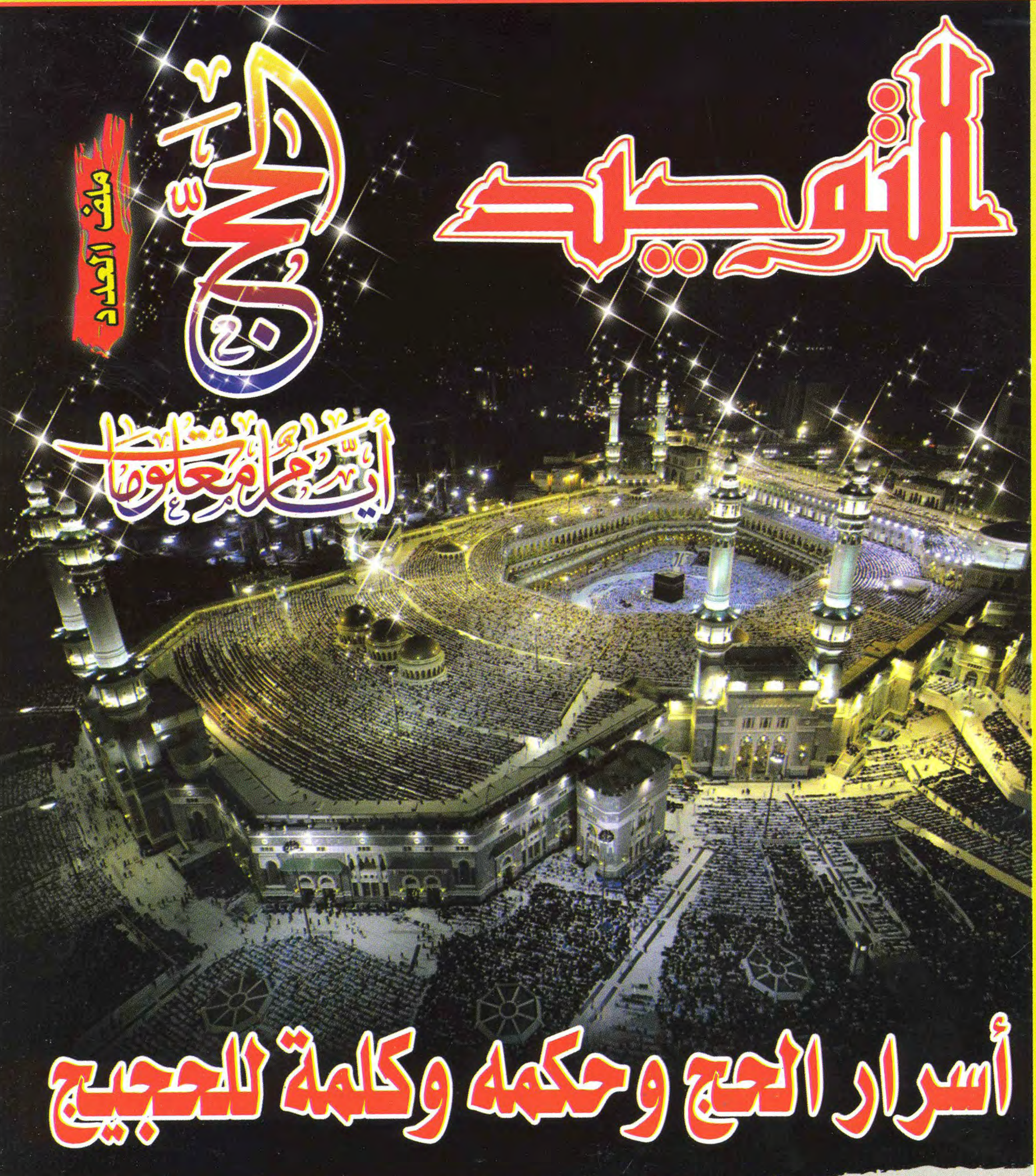

ملف العدد

الحج

أيام معلومات

أسرار الحج وحكمه وكلمة للحجيج

- أحكام وحساب زكاة الأنعام
- والفجر وليال عشر
- التذكرة بسنن الأضحية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير ||

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام ||

WWW.ANSARALSONNA.COM

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني ||

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير ||

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات ||

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

نَعل النبي عليه السلام ورءوس المرابين

في مثل هذه الأيام، منذ قرون وأعوام، خطب النبي عليه الصلاة والسلام، خطبة الوداع على عرفة، فقال كلامًا فَسَّره وعرَّفه: «كل ربا الجاهلية تحت قدمي موضوع، وأول ربًا أضعه ربانا؛ ربا العباس بن عبد المطلب».

ذلك أن الله تعالى حرَّم الربا، ومحق بركته، وهدَّد وتوعَّد من يتعامل به بحرب الله ورسوله له. فأخبرونا بربكم كيف يصنع أقوام بأموالهم وقد حاربهم فيها رب العباد؟!

ولقد انتشرت بوادر حرب الله تعالى لأكلي الربا، الذين قالوا: إنما البيع مثل الربا معاندين قوله تعالى: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» (البقرة:٢٧٥)، فظهرت الأزمات الاقتصادية العالمية الخانقة، وتراكمت الديون التي تمثل أشد ضائقة.

وقد عقد الله تعالى المقارنة بين نتيجة اتباع وعود الشياطين بأكل الربا؛ وبين نتيجة طاعة الله بأكل الحلال؛ فقال: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»، وفي ظل الأزمات العالمية الطاحنة، والفقر المُذل؛ هل يُدرك أكلة الربا؛ لماذا وضع النبي الكريم الربا تحت نعله؟!

التحرير

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
قيم الوسطية والاعتدال في نصوص الكتاب والسنة: رئيس التحرير ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٩
أحكام وحساب زكاة الأنعام: د. حسين حسين شحاتة ١٢
من أخلاق أهل القرآن: د. أسامة صابر ١٥
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
فقر المشاعر: د. محمد بن إبراهيم الحمد ٢٠
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٢٣
أسرار الحج وحكمه وكلمة للحجيج: د. صالح بن عبد الله بن حميد ٢٦
خصائص يوم عرفة: عبده أحمد الأقرع ٣٠
فقه الواقع أصول وضوابط: د. أحمد منصور سبالك ٣٤
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
التذكرة بسنن الأضحية: د. حمدي طه ٤١
فتاوى الحج ٤٤
الأمثال في القرآن: مصطفى البصراتي ٤٧
المسؤولية تكليف لا تشريف: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
الأحداث الهامة في تاريخ الأمة: عبد الرزاق السيد عيد ٦٢
حصاد الفتن: د. عماد عيسى ٦٦
الكفارات: محمد عبد العزيز ٦٨

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة حساب رقم ١٩١٥٩٠/

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

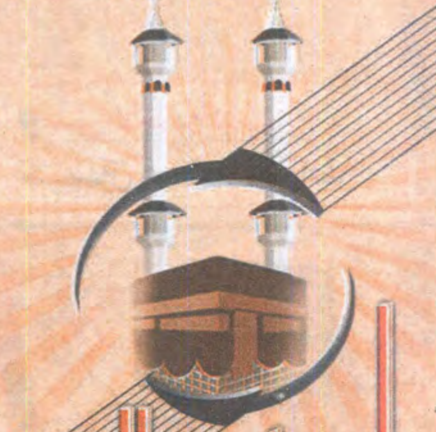

افتتاحية العدد

فضائل عشر ذي الحجة والأعمال المستحبة فيها

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين.

وبعدُ:

فإن الله تبارك وتعالى أكرم عباده المؤمنين بمواسم عظيمة للاستكثار من الصالحات والإقبال على الطاعات، وهي كثيرة بحمد الله ومنها عشر ذي الحجة التي هي على الأبواب، وقد أودع الله فيها كثيرًا من الخيرات، وقد ورد في فضلها وعظيم مكانتها أدلة من الكتاب والسنة، منها:

١- قول الله تعالى: «وَٱلْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ» (الفجر: ١، ٢)، والمراد بقوله: «وليال عشر»: العشر الأول من ذي الحجة، وقد ذكره ابن حجر عن ابن عباس، وعبد الله بن الزبير، ومسروق، وعكرمة، وغيرهم، وهو أرجح الأقوال فيها، قال ابن جريج: «والصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحى؛ لإجماع الحُجَّة من أهل التأويل». (جامع البيان ٣٠/٩٠٨).

٢- ومن فضائل عشر ذي الحجة: أنها الأيام المعلومات التي شرع الله ذكره فيها وأمر به، قال الله تعالى: «لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ㉘ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ» (الحج:٢٨-٢٩). قال ابن كثير رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنهما: إن الأيام المعلومات أيام العشر، وعلَّقه البخاري عنه بصيغة الجزم به. (انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٩٨).

وقال ابن رجب رحمه الله: «وجمهور العلماء على أن هذه الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة». (لطائف المعارف ص٣٧٧).

كما أن هذه العشر تشتمل على يوم عرفة، وهو اليوم الذي يباهي ربنا فيه ملائكته

بعباده الواقفين فيه، كما أنه يشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر. قال ابن كثير: «وبالجملة، فهذه العشر قد قيل: إنها أفضل أيام السنة، وفضَّلها كثير على عشر رمضان الأخيرة؛ لأن هذا يُشرع فيه ما يُشرع في ذلك؛ من صلاة وصيام وصدقة وغير ذلك، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه، وقيل: ذلك أفضل لاشتماله على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وتوسط آخرون فقالوا: أيام هذا أفضل، وليالي ذاك أفضل، وبهذا يجتمع شمل الأدلة، والله أعلم». (تفسير ابن كثير ٢٩٩/٣).

كما ورد في فضل عشر ذي الحجة أحاديث كثيرة منها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذه». قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء». (البخاري: ٢٩٦٩).

وأخرج أبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما بلفظ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام»- يعني أيام العشر- قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء». (صحيح أبي داود ٤٩٢/٢).

قال ابن حجر رحمه الله: «والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة؛ لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره». (فتح الباري ٢/ ٤٦٠).

وقال ابن رجب رحمه الله: «يُختص عشر ذي الحجة في حق الحاج بأنه زمن سوقهم الهدي الذي به يكمل فضل الحج». (لطائف المعارف ص٣٧٨).

ويلاحظ من الأحاديث السابقة فضل العمل في أيام العشر، وأن العمل فيها أحب إلى الله تبارك وتعالى، ومن باب الفائدة والتذكير لنفسي ولإخواني سأذكر هنا- إن شاء الله بعض الأعمال التي يجب على كل مسلم ومسلمة العناية والاهتمام بها، ويأتي على رأسها ما يلي:

١- الإتيان بالفرائض كما أوجبها الله تعالى:

إن قيام العبد بالفرائض والأركان علامةُ على صدق الإيمان، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه أن أحب الأعمال إليه ما افترض على عباده، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته» (البخاري: ٦٥٠٢).

وقد أفاد الحديث أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله تعالى، قال ابن حجر رحمه الله: «قال الطوفي: الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين، وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب، فكانت الفرائض أكمل، فلهذا كانت أحب إلى الله وأشد تقريباً، وأيضاً فالفرض كالأصل والأسّ والنفل كالفرع والبناء، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثالُ الأمر واحترامُ الآمر وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل». (فتح الباري ١١/٣٤٣).

ومن أعظم الأركان بعد الشهادتين التي يدخل العبد بها في الإسلام: الصلاة، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على كثرة السجود، وهو ركنٌ من أركان الصلاة، كما في حديث ثوبان رضى الله عنه أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال له: «عليك بكثرة السجود لله تعالى فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة، وحطَّ عنك بها خطيئة» (مسلم: ٢٢٤).

٢- كثرة النوافل:

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق يدل على ذلك، ويبين أن الإتيان بالنوافل سببٌ لمحبة الله للعبد، وهذا شرف عظيم لمن يناله، ومن الأعمال الصالحة في هذه العشر والنوافل ما يلي:

أ- دعاء الله تعالى: إن الدعاء من أعظم أسباب تحقيق العبودية، وفيه من تعظيم الله الشيء الكثير، ثم فيه أيضًا: إظهار الذل والانقياد وتسليم الأمور إلى الله تعالى، وإظهار افتقار العبد لربه ومولاه، وقد أمر الله به في كتابه، فقال: « وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » (غافر: ٦٠)، وعلى العبد أن يتحرى أوقات الإجابة؛ كجوف الليل الآخر، وبين الأذان والإقامة، وعند المطر، وإذا تعارَّ من الليل، ويتأكد ذلك في يوم عرفة، فهو يوم العتق من النار، ومغفرة الذنوب، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على دعاء ربه فيه، كما ورد عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «كنتُ رديفَ النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات، فرفعَ يديْه يدعو فمالت به ناقتُه فسقطَ خطامُها، فتناولَ الخطامَ بإحدى يديْه، وَهوَ رافعُ يدَهُ الأخرى» (صحيح النسائي ٣٠١١).

ب- الصيام لدخوله في الأعمال الصالحة، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم التسع الأولى من ذي الحجة، وقد روى ذلك النسائي وأبو داود عن هنيدة بن خالد عن امرأته، عن بعضِ أزواجِ النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كانَ يَصومُ تسعًا مِن ذي الحَجَّةِ، ويومَ عاشوراءَ، وثلاثةَ أيَّامٍ من كلِّ شهْرٍ» (صحيح النسائي ٢٤١٦).

ولا يعارض ذلك ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صائمًا في العشر قط». وقد أجاب العلماء على ذلك بأجوبة منها: أنه متأول على أنها لم تره، ولا يلزم منه تركه في نفس الأمر؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان يكون عندها في يوم من تسعة أيام والباقي عند أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، أو لعله صلى الله عليه وسلم كان يصوم بعضًا منها في بعض الأوقات، وكلها في بعض الأحيان، ويتركه في بعضها؛ لعارض سفر أو مرض، أو غيرها، وبهذا يُجمع بين الأحاديث. (المجموع للنووي ٣٨٧/٦).

ويتأكد تأكدًا شديدًا صيام يوم عرفة من التسع لغير الحاج، لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما سُئل عن صوم يوم عرفة، «يُكفر السنة الماضية والباقية» (مسلم: ١١٦٢).

ج- الإكثار من ذكر الله: ذكر الله تبارك وتعالى من أفضل الأعمال، ويكفي أن نقرأ قول الله تعالى: « ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ » (الرعد: ٢٢)، وقد قال ابن عباس في قوله تعالى: «وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۖ » (الحج: ٢٨)، الأيام المعلومات هي أيام العشر، وذكره البخاري عنه، وقال: وكان ابن عمر وأبو هريرة رضى الله عنه يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبِّر الناس بتكبيرهما، وكبَّر محمد بن علي خلف الناقة. (فتح الباري.../٤٥٧).

وقال النووي رحمه الله: «واعلم أنه يستحب الإكثار من الأذكار في هذه العشر زيادة على غيره، ويستحب ذلك في يوم عرفة أكثر من باقي العشر». (الأذكار ص٣٨٩).

ويجتمع المسلمون في سائر أقطار الدنيا في اليوم العاشر وهو يوم العيد لصلاة العيد، وإظهار هذه الشعيرة ويكبرون الله تعالى، وهو يوم الحج الأكبر على الراجح من أقوال أهل العلم، والأعمال الصالحة لا تنتهي ولا تنقضي، فعلى المسلم الحرص على بذل الطاعة في هذه الأيام مع سؤال الله القبول.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

قيم الوسطية والاعتدال في نصوص الكتاب والسنة

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM

في مكة المكرمة عقد في الآونة الأخيرة مؤتمر «قيم الوسطية والاعتدال في نصوص الكتاب والسنة»، والذي نظمته الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، وذلك بحضور نحو ١٢٠٠ عالم من جميع أنحاء العالم من علماء ومفتيين ووزراء من العالم الإسلامي.

وقد ناقشت الجلسات قضايا بارزة لنشر الوسطية من أهمها: «معالم الوسطية ومقوماتها في الإسلام، والجهل بمفهوم الوسطية الآثار والتداعيات، والمنهج النبوي وسطية واعتدال»، وتناولت مواضيع القيم الأخلاقية والإنسانية في الهدي النبوي والتعامل مع المخالف في ضوء السيرة النبوية.

الوسطية والاعتدال بين الأصالة والمعاصرة

وكذلك ناقش المؤتمر قضية الوسطية والاعتدال بين الأصالة والمعاصرة، وطرح المؤتمر قضيتين للنقاش حول الاعتدال والوسطية في التاريخ الإسلامي والتراث الفقهي إضافة إلى الخطاب الوسطي ومتغيرات العصر.

كما ناقش المؤتمر الرؤية المطروحة حول تعزيز الوسطية والاعتدال في المجتمعات المسلمة، وطرح خلالها مواضيع «الاختلاف وثقافة الاعتدال وتجارب وبرامج عملية لتعزيز الوسطية بين الشباب».

وقد طرح المؤتمر في جلساته رؤية الحضور حول الوسطية والاعتدال ورسالة التواصل الحضاري والتي نوقش في

إطارها مواضيع التعدد الديني والتواصل الثقافي والقيم المشتركة في العلاقات الدولية المعاصرة.

وفي كلمته التي ألقاها نيابة عنه الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة أكد العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز أن المملكة العربية السعودية أدانت أشكال التطرف والعنف والإرهاب كافة، وأخذت على عاتقها العمل على نشر السلام والتعايش بين الجميع وأنشأت لذلك المراكز والمنصات الفكرية العالمية، مضيفًا أن المملكة قامت على قيم الوسطية والاعتدال في نصوص الكتاب والسنة والتي لا تزال تؤكد سلامة هذا المنهج ودوره في حماية البلاد والمجتمعات الإسلامية وتحقيق أمنها ورخائها ومنعتها في مواجهة كافة محاولات اختطاف المجتمعات الإسلامية يمينًا أو يسارًا عن هذا الوسط العدل الذي جاء به ديننا الإسلامي الحنيف.

وقد أكد رئيس جمهورية الشيشان الرئيس رمضان أحمدوفيتش قديروف في كلمته في المؤتمر أن الجميع اليوم بحاجة لأن نتعاون معًا يدًا بيد وبشكل لا مثيل له في التّاريخ، فالله تعالى يدعونا إلى الاتحاد في قرآنه الكريم حيث يقول تبارك وتعالى: « وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ » (آل عمران:١٠٣) مؤكداً أن الإرهاب لا دين له، وَإن الجميع يَرفَض بشدة كل الاتهامات المُوجهَة إلى الإسلام بالإرهاب.

بينما أوضح سماحة المفتي العام للمملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ أن من خصائص هذا الدين الحق أن يكون ديناً وسطاً بين الغلو والجفاء، ديناً عدلاً لا ظلم فيه ولا إجحاف، تتصف جميع أحكامه وتشريعاته بالاعتدال والتيسير بعيداً عن الغلو والعنت والمشقة والحرج.

وأن الأمة التي تؤمن بهذا الدين تتصف بوصف الوسطية والاعتدال من بين الأمم الأخرى فجاء في كتاب الله عز وجل أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم أمة وسط خيار بين الأمم، قال تعالى: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ » (البقرة:١٤٣)، وقال تعالى: « كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ » (آل عمران:١١٠).

وأشار الشيخ عبد العزيز آل الشيخ إلى أنه إذا كان هناك من حاد عن هذا المنهج الوسط قديمًا وحديثًا، فإنما هم من المتنطعين الذين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم هم الهالكون والمنحرفون عن الجادة المستقيمة إما بغلوهم وإفراطهم، أو بتفريطهم وتقصيرهم.

وفي كلمته قال الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى: "إن الأطروحات حول قيم الوسطية والاعتدال كثرت لكنها كانت ولا تزال بحاجة إلى إبرازها ببيان علمي، يستعرض النصوص ويوضح دلالاتها، ويكشف أوهام أو تعمُّدَ اجتزائها، ويُبيّنُ الأخطاء والمزاعم والشبهات في تأويلها أو التقولّ عليها.

وأفاد أنه تم حصر أكثر من ثمانمائة مادة لجماعة إرهابية واحدة أرسلتها

عبر مئات الآلاف من الرسائل تلقاها كل مستهدف بها عبر وسائل التواصل و الاتصال، وهي مع ضعفها كما هو حال بنيان التطرف والإرهاب إلا أنها ستكون خطرة عندما تصادف عقولاً غضة لا تملك سوى العاطفة الدينية المجردة عن الوعي في ظل فراغ ملموس في الاضطلاع بواجب التحصين المتكامل حول العالم في سنين مضت، وحاجة المجتمعات المسلمة في البلدان غير المسلمة لهذا أكثر من غيرها"، مشددًا على أن الفكر الإرهابيَ كما لم يقم على قوة عسكرية، بل على أيديلوجية متطرفة، استغلت المشاعرَ الدينيةَ غيرَ المحصنة فكان من أثر شرورها ومجازفاتها ما أصبح محل اهتمام العالم بأسره.

- كما أكد مفتي الديار المصرية فضيلة الدكتور شوقي علام، في كلمته أنه لابد أن تتحول المؤتمرات إلى برامج عمل تلامس الواقع وتناقش قضاياه، وتعمل على إيجاد الحلول المناسبة لكافة المشكلات والقضايا، وفي مقدمتها قضية محاربة الإرهاب من خلال مناقشة الأفكار وتصحيح المفاهيم، مشددًا على أنه بات مستقرًا لدى الجميع أن قضية مكافحة الإرهاب إلى جانب أنها قضية أمنية فهي قضية فكرية في المقام الأول، وقال: «إن كل عالم وسطي حر من حملة المنهج الوسطي في العالم الإسلامي يشعر بالمسؤولية الجسيمة. مهما بلغ به الجهد والتعب جراء كل قطرة دم معصومة سفكتها يد الإرهاب الغادرة، وعند كل تفجير يحدث هنا أو هناك في بلاد المسلمين أو غير المسلمين، نشعر بالمسؤولية تجاه الشباب الذي غرر به فأفلت من بين أيدينا حتى سقط في شباك الإرهاب الغادرة، ونشعر بالمسؤولية كذلك تجاه كل نفس أزهقت، وكل روح طاهرة صعدت إلى بارئها جل وعلا بسبب العمليات الإرهابية الغادرة، وهذا الاستشعار بالمسؤولية كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقه ومقتضى ولازم رحمته صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله رحمة للعالمين.

وفي كلمته أكد مفتي الجمهورية اللبنانية الدكتور عبداللطيف دريان: أن سمات الأُمَّة الوَسَط هي القوامةُ والشَّهَادَةُ وَالقسْطُ. أمَّا القوامَةُ والشَّهادَةُ فَهُما أمران مَبْدَئيَّان، قَاعدَتُهُمَا الكَلمَةُ السَّوَاء: «قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » (آل عمران - ٦٤)فالتَّشديدُ على الوَحْدَانيَّة، وَعَلى عَدَم التَّرَبُّب، هُمَا القوَامُ النَّظَريُّ للشَّرَاكَة، أَو القَوَاسِمُ المُشْتَرَكَةُ مَعَ أَهلِ الكتَاب، وَهُمَا الأساسُ للتَّعارُف بالقسْط مَعَ النَّاسِ جَميعاً، على مُستَوَى السِّيرَةِ والسُّلوك.

كلمة الدكتور جمال المراكبي في مؤتمر الوسطية

وفي كلمته التي ألقاها فضيلة الدكتور جمال المراكبي، الرئيس العام السابق لجماعة أنصار السنة في مصر قال فضيلته:

إن الله سبحانه وتعالى أقام الدنيا على سنن البلاء والاختبار، والدنيا لا يمكن أن تكون أبداً على صورة الجنة الكل يسير فيما يرضي الله عز وجل، ولكن دائماً أبداً يكون هناك الشيطان هناك الغلو هناك التطرف لا يكاد يخلوا زمان منهم.

لكن الحقيقة كيف تنتصر القيم العليا؟ الله سبحانه وتعالى منذ أهبط آدم إلى

الأرض أهبطه محملاً بمنهج «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (البقرة:٣٨).

وهكذا كان الدين من لدن آدم إلى محمد صلى الله تعالى عليهم وسلم أجمعين.

الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله تبارك وتعالى بالحنيفية السمحة الذي ما خُير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً أو يكن فيه قطيعة رحم ربانا على هذا المنهج ربى الأمة وربى أصحابه على هذا المنهج، ولكن هذا لم يمنع أن تنبت نابتة تغالي، بل وتكفر، أعيان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المشهود لهم بالجنة، بل يقول قائلهم في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعدل فإنك لم تعدل. فيقول الحبيب النبي- بأبي هو وأمي- صلى الله عليه وسلم: (إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّه رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ). (صحيح البخاري: ٥ /ح٤٣٥١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، قَوْمًا يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ». (صحيح البخاري: ٩ /ح٧٤٣٢).

وعن الوسط والوسطية قال الدكتور المراكبي: إن الوسط لابد فيه من عدل، عدل في النفس وعدل في إقامة العدل بين الناس بشريعة الله عز وجل.

فالوسط العدل والوسط الخيار وكذلك الوسط فيه مرونة ليس فيه تطرف ليس فيه إعمال للرأي الواحد والقول الواحد حيث تختلف أنظار الناس في فهم النصوص فنصوص القرآن والسنة ليست كلها قطعية الدلالة، بل فيها ما هو قطعي لا يختلف عليه عاقلان وهو مجمع عليه في الأمة ومعلوم من الدين بالضرورة وفيها ما هو محل نظر ومحل اجتهاد تجتهد فيه الأنظار ويسع الجميع طالما يحترم بعضهم البعض.

يقول قائلهم مقالة إمامنا الشافعي رحمه الله: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

هذا إذا كان الأمر في الخطأ والصواب، فكيف في خلاف التنوع.

وقال الدكتور المراكبي: إننا في هذه الأيام الفضيلة الكريمة أيام المغفرة والرحمة والعتق من النيران نلتمس أسباب المغفرة وأسباب رحمة وأسباب العتق من النار وأهم هذه الأسباب ما كان من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو السماحة، فعن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «على كل هين، لين، قريب، سهل». (صحيح إبن حبان (٢/ح٤٧٠)، وأخرجه الحاكم والبيهقي بلفظ: «مَنْ كَانَ هَيِّنًا لَيِّنًا قَرِيبًا حَرَّمَهُ اللَّه عَلَى النَّارِ». المستدرك ١ /ح٤٣٥، شعب الإيمان ١٠ /ح٧٧٧٠)).

وهذا هو المطلوب أن يكون على الأرض لأن التطرف ليس في هذه المؤتمرات، التطرف في القرى والنجوع وفي الفيافي وفي الصحاري يحتاج إلى علم يحتاج إلى حلم يحتاج إلى دعوة لأخذ الناس إلى هذا الحق، والهادي إلى سواء السبيل هو الله رب العالمين.

سُورَةُ الْفَتْحِ

الحلقة الخامسة

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

قال تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ⑩ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا » (الفتح: ١٠-١١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ »:

فَالْمُبَايَعُ فِي الْحَقِيقَة هُوَ الله عز وجل، وَالَّذي كَانَ يَأْخُذُ الْبَيْعَةَ هُوَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم وَلذَلكَ قَالَ الله تَعَالَى: «إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ » (التوبة: ١١١)، وَإِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بَيْعَةً لله لأَنَّ الله تَعَالَى قَالَ: «مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا » (النساء: ٨٠).

وَقَدْ أَكَّدَ الله تَعَالَى عَلَى أَنَّ الْبَيْعَةَ كَانَتْ لَهُ بِأَكْثَر من مُؤكِّد، فَقَالَ: «إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله»، وَلَفْظَةُ «إِنَّمَا» منْ أَلْفَاظ الْحَصْرِ وَالْقَصْر، فَلَمْ تَكُن الْبَيْعَةُ إِلَّا لَهُ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ زَادَ تَوْكيدًا فَقَالَ: «يَدُ الله فَوْقَ أَيْديهِمْ» أَيْ أَنَّ يَدَ الله عِنْدَ الْبَيْعَة فَوْقَ أَيْديهِمْ، كَأَنَّهُمْ يُبَايِعُونَ الله بِبَيْعَتهِمْ نَبيَّه صلى الله عليه وسلم. (محاسن التأويل ١٥/٦٩).

مَذْهَبُ السَّلَف فِي الأَسْمَاء والصِّفات:

وَمَذْهَبُ السَّلَف فِي هَذه الآيَة وَأَمْثَالهَا السُّكُوتُ عَن التَّأْويل، وَإِمْرَارُ آيَات الله وَأَحَاديث رَسُول الله صلى الله عليه وسلم المُتَعَلِّقَة بالصِّفَات كَمَا جَاءَتْ مَعَ الإِيمَان بهَا، منْ غَيْر تَشْبيه، وَلَا تَكْييف، وَلَا تَعْطيل، وَلَا تَحْريف، وَلَا صَرْف عَن الظَّاهر، وَلَا تَأْويل، وَهُوَ الْحَقُّ. (فتح البيان في مقاصد

القرآن (٦/٣٤٧)).

وَقَدْ تَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّه فِي «كِتَاب التَّوْحِيد» منْ صَحِيحه: (بَابُ قَوْلِ اللَّه تَعَالَى لِمَا خَلَقْتُ بِيَدي):

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّه: فِي هَذه الآيَة إثْبَاتُ يَدَيْن للَّه، وَهُمَا صفَتَان مِنْ صفَات ذَاته، وَلَيْسَتَا بِجَارِحَتَيْن خلافًا للْمُشَبِّهَة منَ المُثْبِتَة، وَللجَهْمِيَّة منَ المُعَطِّلَة، وَيَكْفِي فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهُمَا بمَعْنَى الْقُدْرَة أَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ لَهُ قُدْرَةً وَاحِدَةً فِي قَوْل المُثْبِتَة، وَلا قُدْرَةَ لَهُ فِي قَوْل النُّفَاة، لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إنَّهُ قَادرٌ لذَاته، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ اليَدَيْن لَيْسَتَا بمَعْنَى الْقُدْرَة أَنَّ فِي قَوْله تَعَالَى لإبْلِيسَ: « قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ » (ص: ٧٥)، إشَارَةَ إلَى المَعْنَى الَّذي أَوْجَبَ السُّجُودَ، فَلَوْ كَانَت اليَدُ بمَعْنَى القُدْرَة لَمْ يَكُنْ بَيْنَ آدَمَ وَإبْلِيس فَرْقٌ، لتَشَارُكهمَا فيمَا خُلِقَ كُلٌّ منْهُمَا به وَهيَ قُدْرَتُه، وَلَقَالَ إبْليسُ: وَأَيُّ فَضيلَة لَهُ عَلَيَّ وَأَنَا خَلَقْتَني بقُدْرَتك كَمَا خَلَقْتَهُ بقُدْرَتك، فَلَمَّا قَالَ خَلَقْتَني مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ منْ طينٍ دَلَّ عَلَى اخْتصَاص آدَمَ بأَنَّ اللَّه خَلَقَهُ بيَدَيْه.

قَالَ: وَلا جَائزَ أَنْ يُرَادَ باليَدَيْن النِّعْمَتَان، لاسْتحَالَة خَلْق المَخْلُوق بمَخْلُوق، لأَنَّ النِّعَمَ مَخْلُوقَةٌ، وَلا يَلْزَمُ منْ كَوْنهمَا صفَتَيْ ذَاتٍ أَنْ يَكُونَا جَارحَتَيْن. (فتح الباري ١٣/٣٩٢-٣٩٤).

الحث على الوفاء بالعهد والنهي عن نقضه:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «فَمَنْ نَكَثَ فَإنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسه» أَيْ فَمَنْ نَقَضَ عَهْدَ اللَّه مِنْ بَعْد ميثَاقه فَقَدْ جَنَا عَلَى نَفْسه، وَعَادَ وَبَالُ فعْله عَلَيْه، وَلا يَضُرُّ اللَّه شَيْئًا.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بالْوَفَاء وَنَهَى عَنْ نَقْض الْعَهْد وَالميثَاق، فَقَالَ: « وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ » (النحل: ٩١- ٩٢).

فَمَنْ نَقَضَ عَهْدَهُ وَميثَاقَهُ فَإنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسه، «وَمَنْ أَوْفَى بمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّه فَسَيُؤْتيه أَجْرًا عَظيمًا» وَهُوَ الْجَنَّةُ، وَالرِّضْوَانُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ » (التوبة: ١١١)، وَقَالَ تَعَالَى: «لَقَدْ رَضيَ اللَّه عَنِ المُؤْمنينَ إذْ يُبَايعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَة فَعَلمَ مَا فِي قُلُوبهمْ فَأَنْزَلَ السَّكينَةَ عَلَيْهمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَريبًا». وَسَنَذْكُرُ الأَحَاديثَ الْوَاردَةَ فِي فَضْل أَهْل بَيْعَة الرِّضْوَان عنْدَ تَفْسير هَذه الآيَة إنْ شَاءَ اللَّه.

من معجزات القرآن الكريم:

دَائمًا نَقُولُ: إنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحَاطَ بكُلِّ شَيْءٍ علْمًا، عَلمَ مَا كَانَ، وَمَا يَكُونُ، وَمَا سَيَكُونُ، وَعَلمَ مَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.

قَبْلَ أَنْ يَرْجعَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إلَى المَدينَة وَيُقَابلَ الأَعْرَابَ الَّذينَ تَخَلَّفُوا عَنْهُ يُخْبرُهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ بمَا سَيَقُولُ لَهُ هَؤُلاء الَّذينَ تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَبمَا سَيَعْتَذرُونَ به، وَهَذَا منْ مُعْجزَات الْقُرْآن الدَّالَّة عَلَى أَنَّهُ « تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ » (فصلت: ٢)، كما قَالَ تَعَالَى بَعْدَ مَا حَكَى قَوْلَ الْكَافرينَ: « وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ

«هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ④ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» (الفرقان: ٤- ٥)، قَالَ تَعَالَى: «قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا» (الفرقان: ٦).

«سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ» الَّذِينَ كَانُوا نَازِلِينَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَهُمْ سِتُّ قَبَائِلَ: غِفَارٌ وَمُزَيْنَةُ، وَجُهَيْنَةُ وَأَشْجَعُ، وَأَسْلَمُ وَالدِّيلُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى الْعُمْرَةِ اسْتَنْفَرَ مِنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مِنْهُمْ لِيَخْرُجُوا مَعَهُ فَيَرْهَبَهُ أَهْلُ مَكَّةَ فَلَا يَصُدُّوهُ عَنْ عُمْرَتِه، فَتَثَاقَلَ أَكْثَرُهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ مَعَهُ. فَأَخْبَرَ اللهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم بِمَا بَيَّتُوهُ فِي قُلُوبِهِمْ وَفَضَحَ أَمْرَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْتَذِرُوا، وَهَذِه مِنْ مُعْجِزَاتِ الْقُرْآنِ الْإِعْلَامُ بِالْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُقُوعِهَا. (التحرير والتنوير ٢٦/ ١٦٠و١٦١).

وَإِنَّمَا قَالَ: «الْمُخَلَّفُونَ» لِأَنَّ اللهَ خَلَّفَهُمْ عَنْ صُحْبَةِ نَبِيِّه. وَالْمُخَلَّفُ الْمَتْرُوكُ. (الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٦٨).

قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّه مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم: سَيَقُولُ لَكَ الَّذِينَ خَلَّفَهُمُ اللهُ فِي أَهْلِيهِمْ عَنْ صُحْبَتِكَ وَالْخُرُوجِ مَعَكَ فِي سَفَرِكَ الَّذِي سَافَرْتَ، وَمَسِيرِكَ الَّذِي سِرْتَ إِلَى مَكَّةَ، مُعْتَمِرًا زَائِرًا بَيْتَ اللهِ الْحَرَامَ، إِذَا انْصَرَفْتَ إِلَيْهِمْ، فَعَاتَبْتَهُمْ عَلَى التَّخَلُّفِ عَنْكَ، شَغَلَتْنَا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَكَ مُعَالَجَةُ أَمْوَالِنَا، وَإِصْلَاحُ مَعَايِشِنَا وَأَهْلُونَا، «فَاسْتَغْفِرْ لَنَا» رَبَّنَا لِتَخَلُّفِنَا عَنْكَ. وَلَوْ كَانُوا صَادِقِينَ فَاسْتَغْفَرُوا رَبَّهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَنَفَعَهُمُ الِاسْتِغْفَارُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا» (النساء: ٦٤)، لَكِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ مُكَذِّبَهُمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ: «يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ»، أَيْ: يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ الْمُخَلَّفُونَ عَنْكَ «بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ»، وَذَلِكَ مَسْأَلَتُهُمْ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم الِاسْتِغْفَارَ لَهُمْ، يَقُولُ: يَسْأَلُونَهُ بِغَيْرِ تَوْبَةٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَدَمٍ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فِي تَخَلُّفِهِمْ عَنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَالْمَسِيرِ مَعَهُ. (جامع البيان(٢٦/ ٧٧) بتصرف).

لَا يَجْلِبُ النَّفْعَ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَكْشِفُ الضُّرَّ إِلَّا هُوَ:

«قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا» أَيْ فَمَنْ يَقْدِرُ لِأَجْلِكُمْ مِنْ مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى وَقَضَائِه عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّفْعِ «إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا» أَيْ مَا يَضُرُّكُمْ مِنْ هَلَاكِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَضَيَاعِهِمَا حَتَّى تَتَخَلَّفُوا عَنِ الْخُرُوجِ لِحِفْظِهِمَا وَدَفْعِ الضَّرَرِ عَنْهُمَا «أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا» أَيْ وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الضَّرَرِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ مَا يَنْفَعُكُمْ مِنْ حِفْظِ أَمْوَالِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ، فَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى التَّخَلُّفِ لِأَجْلِ الْقِيَامِ بِحِفْظِهِمَا؟! وَهَذَا تَحْقِيقٌ لِلْحَقِّ وَرَدٌّ لَهُمْ بِمُوجِبِ ظَاهِرِ مَقَالَتِهِمُ الْكَاذِبَةِ، وَتَعْمِيمُ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ لِمَا يُتَوَقَّعُ عَلَى تَقْدِيرِ الْخُرُوجِ مِنَ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ، وَالظَّفَرِ وَالْغَنِيمَةِ، يَرُدُّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا»، فَإِنَّهُ إِضْرَابٌ عَمَّا قَالُوا، وَبَيَانٌ لِكَذِبِه بَعْدَ بَيَانِ فَسَادِه عَلَى تَقْدِيرِ صِدْقِه، أَيْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ، بَلْ كَانَ اللهُ خَبِيرًا بِجَمِيعِ مَا تَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا تَخَلُّفُكُمْ وَمَا هُوَ مِنْ مَبَادِيه.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التطبيق المعاصر للزكاة

أحكام وحساب زكاة الأنعام ومشروعات الثروة الحيوانية

إعداد د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يقصد بالأنعام: الإبل والبقر والغنم وما في حكم ذلك، وهى من نعم الله عز وجل التي سخرها لعباده، ولقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم، فقال الله تبارك وتعالى: « أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ »(يس: ٧١-٧٣).

والزكاة واجبة في الأنعام بأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الفقهاء حيث إنها من الأموال التي تتوافر فيها شروط الخضوع للزكاة ما عدا الأنعام العاملة التي تُقتنى للاستخدام في مجال الحرث والجر والنقل.

ولقد ظهرت في الآونة الأخيرة مشروعات استثمارية في مجال الأنعام من أبرزها ما يلي:

- شركات الأنعام (الخلطة).
- مشروعات اقتناء الأنعام للألبان (نشاط الألبان).
- مشروعات تربية الأنعام لإنتاج اللحوم (نشاط التسمين).
- مشروعات التجارة في الأنعام (نشاط التجارة).

وحول هذه المشروعات وغيرها تثار مجموعة من التساؤلات حول أحكام وأسس حساب الزكاة عليها، وهذا ما سوف نتناوله في هذا الفصل مع التركيز على الجوانب المحاسبية ونماذجها.

أحكام زكاة الأنعام

يقصد بالأنعام: المقتناة للتوالد والتكاثر والدر، وهي نوعان: سائمة: حيث ترعى الكلأ المباح أكثر أيام السنة، والمعلوفة: التي تعلف ولا ترعى الكلأ، والرأي المعاصر أن كلا منهما يخضع للزكاة

وهذا ما أخذت به الهيئة الشرعية العالمية للزكاة، ولا يخضع للزكاة الأنعام العاملة المقتناة لتقديم خدمات الحرث والحمل والنقل.

ويحكم حساب زكاة الأنعام الأسس الآتية:

(١) يقع في نطاق الأنعام الخاضعة للزكاة كافة أنواع الحيوانات التي تدخل ضمن سلالات: الإبل والبقر والغنم، السائمة والمعلوفة، متى كان القصد منها التوالد والتكاثر والدر.

(٢) تحصر الأنعام الخاضعة للزكاة في نهاية الحول عددًا، ويضم الصغار إلى الكبار متى وصل الكبار النصاب.

(٣) تقارن الأنعام الموجودة الخاضعة للزكاة بالنصاب، فإذا وصلت النصاب تحسب الزكاة، والنصاب كما يلي:

- نصاب الإبل: خمسة.
- نصاب البقر: ثلاثون.
- نصاب الغنم: أربعون.

(٤) إذا وصلت الأعداد النصاب تحسب الزكاة حسب المقادير الموضحة بالجداول الواردة في الصفحات التالية.

(٥) يكون إخراج الزكاة من وسط الأنعام، وليس بالرديء ولا المعيب، وليس من الضروري أن يكون من خيارها.

(٦) يجوز إخراج الزكاة من جنس الأنعام، كما يجوز إخراج القيمة عند بعض الفقهاء إذا كان في ذلك منفعة مرجحة للفقراء.

(٧) يجوز الضم من نفس النوع ليصل الجميع النصاب، مثال ذلك ضم الماعز إلى الضأن، وضم الجاموس إلى البقر، ولكن لا يجوز ضم الأنواع المختلفة حيث لكل نوع نصاب ومقادير خاصة به.

أحكام وحساب زكاة الخلطة (الشراكة) في الأنعام

قد يتفق اثنان أو أكثر على خلط كل واحد ما يمكن من الأنعام مع الآخر أو مع الآخرين، ويكوِّنا شركة وتصبح كل الأنواع خلطة واحدة في المرعى والمشرب والرعاية، وتحسب الزكاة على الخلطة مجتمعة حسب الأحكام السابق بيانها، ولا يجوز التفريق لإنقاص مقدار الزكاة، وهذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء ما عدا الأحناف.

أحكام وحساب زكاة مشروع إنتاج الألبان

قد يكون الغرض من اقتناء الأنعام إنتاج الألبان وبيعها (وليس التوالد والتكاثر كما سبق البيان والإيضاح)، فيطبق على تلك المشروعات أحكام زكاة المستغلات على النحو التالي:

(١) لا تخضع الأنعام المقتناة لدرِّ الألبان للزكاة لأنها من عروض القنية، ولكن يخضع إنتاجها من الألبان وكذلك التوالد المباع إن وجد.

(٢) يُقَوَّم الإنتاج من الألبان خلال الحول على أساس القيمة البيعية له، وهو على أحد حالتين: إما قد بيع فعلاً، وأما قد يكون بالمخازن تحت البيع وكليهما يدخل في نطاق الإنتاج ويخضعان للزكاة.

(٣) يخصم من قيمة الإنتاج السنوي: النفقات والمصروفات ومنها على سبيل المثال: تكلفة الأعلاف، وأجور الكلافين، وإيجار الحظائر، والضرائب والرسوم، ومصاريف البيع والتوزيع، والمصروفات الإدارية، وما في حكم ذلك.

(٤) يخصم كذلك من قيمة الإنتاج السنوي الديون المسددة فعلاً ونفقات المعيشة الفعلية إذا لم يوجد مصدر آخر للإيراد.

(٥) يمثل صافي قيمة الإنتاج وعاء الزكاة، والذي يحسب بالمعادلة:

وعاء الزكاة = (قيمة الإنتاج - (النفقات والمصروفات + والديون المسددة + ونفقات الحاجات الأصلية إن وجدت)).

(٦) ويقارن الوعاء بالنصاب، ونصاب زكاة المستغلات ما يعادل ٨٥ جرامًا من الذهب حسب السعر السائد وقت حلول الزكاة، فإذا وصل الوعاء النصاب تحسب الزكاة.

(٧) سعر الزكاة ٢,٥ ٪ هـ أو ٢,٥٧٥ ٪ م.

(٨) يحسب مقدار الزكاة عن طريق ضرب الوعاء في سعر الزكاة.

أحكام وحساب زكاة إنتاج اللحوم

أحكام زكاة نشاط إنتاج اللحوم:

تتمثل مشروعات اقتناء الأنعام لإنتاج اللحوم في شراء التوالد من الأنعام الصغيرة وعلفها ورعايتها وتسمينها ثم بيعها لذبحها كلحوم، وهذا النشاط سائد في معظم البلدان، ويطلق

عليه عرفًا بنشاط التسمين.

ويرى بعض الفقهاء أن يطبق عليه أحكام زكاة الأنعام العامة السابق بيانها في بند (١.٥)، بينما يرى فريق آخر أن طبيعة هذا النشاط أقرب إلى المستغلات أو إلى عروض التجارة، ونحن نرى أن يطبق عليه أحكام زكاة المستغلات حيث يسمح بخصم النفقات وتكاليف التسمين، كما أنه من عروض القنية التي تغل إيراداً.

ويمكن حساب زكاة أنعام التسمين طبقاً للأسس المحاسبية السابق بيانها في زكاة الأنعام لإنتاج الألبان، والاختلاف الرئيسي هو في طبيعة الإيراد.

أحكام وحساب زكاة مشروع مزارع الدواجن

هناك أنواع مختلفة من مزارع الدواجن من أهمها ما يلي:

- مزارع لإنتاج البيض.
- مزارع للتفريخ.
- مزارع لتربية وتسمين الدواجن ثم بيعها.

ومهما اختلفت الأنواع فهي تدخل في نطاق مشروعات المستغلات حيث اقتناء عروض قنية (أصول ثابتة) بهدف تحقيق ناتج للبيع، ويحكم حساب زكاتها الأسس الآتية:

١- تتمثل عروض القنية في البنود الآتية: مبنى المزرعة ومرافقه وملحقاته، والتركيبات والآلات والمعدات ووسائل النقل، والأثاث والتركيبات، التراخيص الحكومية، وهذه العروض لا زكاة عليها.

٢ - يتمثل المال الخاضع للزكاة في الناتج خلال الحول من الأصناف المختلفة سواء تم بيعه أو لم يُبَعْ. ويقوَّم الأخير على أساس القيمة السوقية (باب المزرعة) يوم حلول الزكاة.

٣ - يخصم من قيمة الناتج النفقات والمصروفات المتعلقة بالمشروع، ومن أهم عناصرها ما يلي:

× مشتريات البيض أو الفروخ أو نحو ذلك.
× مشتريات الأعلاف والأدوية.
× نفقات المزرعة من أجور، وإيجار، وضرائب، وصيانة، ومطبوعات.
× نفقات الحاجات الأصلية. (إن وجدت).
× الديون المسددة. (إن وجدت).

٤ - تحسب الزكاة وفق الخطوات الآتية:

أ - تحديد الأموال الزكوية وتتمثل في ناتج المزرعة.

ب - تحديد النفقات والمصروفات الواجبة الخصم.

جـ - تحديد النفقات الأخرى الواجبة الخصم مثل: الديون ونفقات المعيشة للوصول إلى الوعاء.

د - يقارن الوعاء بالنصاب، فإذا وصله تحسب الزكاة على أساس ٢,٥٪هـ.

هـ - تحسب الزكاة عن طريق ضرب الوعاء في سعر الزكاة.

أحكام وحساب زكاة مشروع تجارة الأنعام

يتمثل نشاط تجارة الأنعام في شراء الأنعام ثم إعادة بيعها، وهذا يخرج عن نشاط التربية للتوالد أو الاقتناء للألبان أو الاقتناء للتسمين، ويطبق على هذا النشاط أحكام زكاة عروض التجارة.

وتحسب على النحو التالي:

(١) تحصر وتقوم الأموال الزكوية في نهاية الحول ومن أهم بنودها ما يلي:

- الأنعام بالحظائر والتي لم تُبَعْ حتى نهاية الحول مقومة على أساس القيمة السوقية.
- الديون لدى العملاء والمدينين والعاملين...، وتقوم على أساس المرجو الجيد منها.
- الأوراق التجارية على الغير (أوراق القبض) وتقوم على أساس المرجو الجيد منها.
- النقدية لدى البنوك وفي الصندوق حسب الجرد الفعلي.

(٢) تحصر وتقوَّم الالتزامات (الخصوم) الحالّة، ومن أهم بنودها ما يلي:

- مستحقات الموردين والدائنين وغيرهم.
- الأوراق التجارية المسحوبة لحساب الغير (أوراق الدفع).
- المصروفات المستحقة للغير.

(٣) يمثل وعاء الزكاة الفرق بين الأموال الزكوية والالتزامات الحالة فإذا بلغ النصاب تحسب الزكاة، على أساس ٢,٥٪ هـ.

(٤) مقدار نصاب زكاة تجارة الأنعام ما يعادل ٨٥ جراما من الذهب الخالص.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

من أخلاق أهل القرآن

يعملون بمُحْكَمه ويؤمنون بمتشابهه

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فما يزال الحديث مستمرًا عن «أخلاق حَمَلة القرآن»، ومنها أنهم يعملون بمُحْكَمه ويؤمنون بمتشابهه. قال تعالى: « هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ » (آل عمران: ٧).

فقد بيَّن الله عز وجل أن في القرآن آيات محكمات واضحات الدلالة هي الأصل الذي يرجع إليه عند الاشتباه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «المحكمات ناسخه، وحلاله وحرامه، وأحكامه وحدوده وفرائضه، وما يؤمر به ويعمل به.

و(منه آيات متشابهات) في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، وطريقة أهل القرآن هي طريقة الراسخين في العلم يعملون بالمُحْكَم، ويؤمنون بالمتشابه، ويردونه إلى ما عرفوا من المحكم؛ فالجميع حقٌّ وصدقٌ ومُنَزَّلٌ من عند الله.

إن الغاية العظمى من قراءة القرآن وتدبره أن نعمل به ونتبعه، قال تعالى: « وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (الأنعام: ١٥٥).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»؛ والعمل بالقرآن يكون بتصديق أخباره، واتباع أحكامه.

والقرآن حُجّة لك أو عليك، وهو شفيعٌ لأصحابه الذين يعملون به، وقد بيَّن الله عز وجل حال ومآل من اتبع القرآن ومن أعرض عنه؛ فقال تعالى: « فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ » (سورة طه: ١٢٣-١٢٦).

وأرشدنا الله عز وجل إلى تلاوته حق التلاوة فقال: « ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ » (البقرة: ١٢١).

قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله (يتلونه حق تلاوته): يتبعونه حق اتباعه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يُحلُّون حلاله، ويُحَرِّمون حرامه، ولا يُحرِّفونه عن مواضعه».

وقال الحسن البصري: «يعملون بمُحْكَمه ويؤمنون بمتشابهه، ويَكِلون ما أشكل عليهم إلى عالمه».

وحذرنا الله تعالى من حال أهل الكتاب؛ فعلماؤهم لا يعملون بما فيه، قال تعالى: « مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا

يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ »(الجمعة:٥).

وعامتهم يتلونه بلا فهم: « وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ »(البقرة: ٧٨).

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل القرآن حقًّا هم العاملون به؛ فعن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران» الحديث (صحيح مسلم).

وضربَ مثلاً يبين حال الناس مع القرآن قراءةً وعملاً؛ ففي صحيح البخاري (٥٠٥٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمنُ الذي يقرأ القرآنَ ويعملُ به كالأُتْرُجَّة، طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة، ريحها طيب وطعمها مُرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة، طعمها مُرّ -أو خبيث- وريحها مُرّ».

قال ابن القيم: «أهل القرآن هم العالمون به، العاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأمَّا من حفظه ولم يفهمه، ولم يعمل بما فيه فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم» (زاد المعاد ١/٣٢٧).

من هدي السلف الصالح في العمل بالقرآن:

النبي صلى الله عليه وسلم: تصفه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ فتقول: «كان خُلُقه القرآن»، قال ابن كثير في تفسيره: «ومعنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجيةً له وخُلُقًا، فما أمره القرآن فعله، وما نهاه عنه تركه».

أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لما نزل قول الله تعالى: « وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ »(سورة النور: ٢٢)، قال: بلى والله يا ربنا؛ إنا لنحب أن تغفر لنا، ورجع للإنفاق على قريبه مسطح الذي كان قد خاض في حديث الإفك.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان يقول اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا؛ فلما نزلت آية المائدة بتحريمها، دُعيَ فقرئت عليه، فلما بلغ قول الله تعالى: (فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ) (المائدة: ٩١)؟ قال عمر: انتهينا انتهينا.

ولما جهل عليه عيينة بن حصن وقال: ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، وهَمَّ عمر أن يوقع به، ذكَّره الحر بن قيس بقوله تعالى: « خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ » (الأعراف: ١٩٩)؛ فما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله عز وجل.

أبو طلحة رضي الله عنه: كان أكثر أنصاري بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، فلما نزلت: (لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) (آل عمران: ٩٢)؛ تصدق بها يرجو برَها وذُخرها عند الله تعالى.

وقرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية (ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ) (التوبة: ٤١)؛ فقال: أرى ربنا استنفرنا شيوخًا وشبانًا؛ جَهِّزوني يا بَنيّ، فقال بَنُوه: يرحمك الله! قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات؛ فنحن نغزو عنك، فأبى، فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد تسعة أيام فلم يتغير فدفنوه فيها».

نساء الصحابة رضي الله عنهن: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: (وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ) (النور: ٣١)؛ شققن مروطهن فاختمرن بها».

معقل بن يسار رضي الله عنه قال: زوجت أختًا لي من رجل فطلَّقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوَّجتك وأفرشتك وأكرمتك فطلَّقتها ثم جئت تخطبها؟ لا والله، لا تعود إليك أبدًا، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية (فَلا تعضلوهن)؛ فقلت: الآن أفعل يا رسول الله. قال: فزوجها إياه (صحيح البخاري: ٥١٣٠).

نسأل الله أن يرزقنا تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، وأن يرزقنا العمل بأحكامه في كل دقيق وجليل، والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

التوحيد هو المنحة الكبرى

الحلقة الثانية

بقلم
د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد مَنَّ الله علينا بحديثنا الشهر السالف بعنوان (التوحيد هو المنحة الكبرى) والذي وعدنا باستكماله في هذا الشهر.

أولاً: الحديث من طريق أنس بن مالك:

عَنْ أنَس بْنِ مَالك قَالَ حَدَّثَني مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيع عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيتُ عِتْبَانَ فَقُلْتُ: حَديثٌ بَلَغَني عَنْكَ قَالَ: أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ، فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِه، فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ أَسْنَدُوا عُظْمَ ذَلِكَ وَكُبْرَهُ إِلَى مَالك بْنِ دُخْشُم قَالُوا: وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْه فَهَلَكَ، وَوَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرٌّ فَقَضَى رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم الصَّلاةَ وَقَالَ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّه؟». قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ ذَلكَ وَمَا هُوَ فِي قَلْبِه، قَالَ: «لا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّه فَيَدْخُلَ النَّارَ أَوْ تَطْعَمَهُ» قال أنس: فأعجبني هذا الحديث. فقلت لابني: اكتبه، فكتبه.

والحديث متفق عليه؛ أخرجه البخاري برقم ٦٠٨٥، ومسلم برقم ١٠٩٩.

هذا وقد تفضل الله علينا في الحلقة السابقة بذكر تخريجه مفصلاً، وبيان المعنى العام من الحديث، ثم بذكر بعض من الفوائد الإجمالية المختصرة، ثم أخرنا مناقشة ثلاثة مسائل يحسن فيها بعض التفصيل لرفع ما قد يحيط بها من إشكال وهي:

١- فضل كلمة التوحيد.
٢- ضوابط اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.
٣- ضوابط التعامل بالظاهر.

أولاً: فضل كلمة التوحيد وتوجيه العلماء لأحاديث تثبت فضلها:

وما أدراك ما كلمة التوحيد! فلا يخفى فضلها؛ إذ في حديث عتبان رضي الله عنه ما يدل على أن الله يحرم وجه قائلها على النار، وأنه يدخل الجنة، وقد تواردت في ذلك أحاديث كثيرة كلها تدور حول هذا المعنى، وهي ما تسمى بأحاديث الوعد، فضلاً عن أحاديث أخرى يفيد ظاهرها وعيدًا يتعارض

مع هذا الوعد، غير أنه في الحقيقة لا تعارض بينها كما هي عقيدة المسلم تجاه صحيح سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وللتوفيق بين الأحاديث جميعًا، نقول:

أجاب فضيلة الشيخ ابن باز رحمه الله في فتاواه (٢٠٧/٢٨) قال: «والأحاديث كلها يفسِّر بعضها بعضًا، والمعنى أن من قال: لا إله إلا الله صادقًا من قلبه، مخلصًا لله وحده، وأدَّى حقها بفعل ما أمر الله، وترك ما حرم الله، ومات على ذلك دخل الجنة، وعصم دمه وماله حال حياته إلا بحق الإسلام.

-- ومن أتى شيئًا من المعاصي.. ومات على ذلك ولم يتب؛ فهو تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر له فضلًا منه وإحسانًا من أجل توحيده وإيمانه بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وسلامته من الشرك، وإن شاء عذَّبه على قدر المعاصي التي مات عليها، ثم يُخرجه الله من النار، بعد التطهير والتمحيص ويُدْخله الجنة؛ لقول الله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ» (النساء:٤٨)؛ فأخبر سبحانه أنه لا يغفر الشرك لمن مات عليه، وأما ما دونه فهو مُعَلَّق بمشيئة الله، فقد يعفو سبحانه عنه فضلًا ورحمةً منه سبحانه.. والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهذا الذي ذكرناه هو قول أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعهم بإحسان، نسأل الله أن يجعلنا منهم والله ولي التوفيق. (انتهى كلامه بتصرف يسير).

وعليه نقول لا تعارض بين هذه الأحاديث جميعًا؛ لإمكان الجمع بينها، وكما هو معلوم أن إعمال الأدلة أولى من إهمالها، وأن دعوى النسخ التي صار إليها بعض أهل العلم حين أفادوا (أن هذه الأحاديث المذكورة في الوعد وما في معناها كانت قبل نزول الفرائض والحدود)، هذه الدعوى بعيدة؛ لأن كثيرًا منها كانت متأخرة؛ أي: بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود كما ذكره في كتاب (معارج القبول ص٤٢٨).

هذا، وقد أفاد الإمام النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم (٢١٩/١): أن «مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح.. أن أهل الذنوب في مشيئة الله تعالى، وأن كل من مات على الإيمان وتشهد مخلصًا من قلبه بالشهادتين، فإنه يدخل الجنة، فإن كان تائبًا أو سليمًا من المعاصي، دخل الجنة برحمة ربه وحُرِّم على النار. وإن كان من المخلِّطين بتضييع ما أوجب الله تعالى عليه أو بفعل ما حرَّم عليه فهو في المشيئة لا يقطع في أمره بتحريمه على النار ولا باستحقاقه الجنة لأول وهلة، بل يُقطع بأنه لا بد من دخوله الجنة آخرًا. والله أعلم».

٢- **فائدة:** هل يُتَّخذ الموضع الذي صلى فيه النبي مكانًا يُتبرك به، وذلك كما هو ظاهر فعل الصحابي الجليل عتبان بن مالك رضي الله عنه عندما أراد أن يتخذ المكان الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم مسجدًا؛ وللجواب نقول: حمل العلماء فعل عتبان على عدة أوجه كلها مؤتلفة غير متعارضة:

- ورد في الفتح: «يحتمل أن يكون عتبان إنما طلب بذلك الوقوف على جهة القبلة بالقطع» (هامش فتح الباري، ١/٥٢٢)، وذلك بتحديد النبي لها.

- والاحتمال الآخر: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى، ١٧/٤٦٨)؛ حيث قال: "فإنه قصد أن يبني مسجدًا وأحب أن يكون أول من يصلي فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يبنيه في الموضع الذي صلى فيه؛ فالمقصود كان بناء المسجد"، وبيَّنه بصورة أوضح في اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/٧٥٤):

- ثم إذا انضاف إلى ذلك أن أهل بيت عتبان رضي الله عنه لم يُنقل عنهم أنهم فعلوا ذلك، ولا أحدٌ من الصحابة تبعه في ذلك وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ما طلبه عتبان مع أنَّ فيهم أبا بكر وعمر وغيرهما، بل لم يُنقل عنهم حرصهم على ما هو أيسر من ذلك كالتنفُّل في محرابه صلى الله عليه وسلم، بل ولا ما هو أيسر من ذلك كله لم يُنقل عن أمهات المؤمنين أنهن كنَّ يفعلن ذلك، وقد كن معه في البيوت.

- قلت: بل ويزيد الأمر تأكيدًا على ما نقلنا من تقرير السلف لذلك ما ورد من إنكار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على من قصد الصلاة في مكانٍ صلَّى فيه النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن المَعرور بن سُويد الأسديّ قال: وافيتُ الموسم مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلمَّا انصرَف إلى المدينة، وانصرفتُ معه، صلَّى لنا صلاة الغداة، فقرأ فيها: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» و«لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ»، ثم رأى أناسًا يذهبون ذهبًا، فقال: أين يذهبون هؤلاء؟ قالوا: يأتون مسجدًا هاهنا صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنما أهلك مَن كان قبلكم بأشباه هذه؛ يَتَّبعون آثار أنبيائهم، فاتَّخذوها كنائسَ وبِيَعًا،

ومَن أدركتْه الصلاةُ في شيءٍ من هذه المساجدِ التي صلَّى فيها رسولُ الله، فليُصلِّ فيها، ولا يَتعمَّدْها"(وصححه الألباني في تخريج فضائل الشام ص: ٤٩)، وعمر رضي الله عنه هو ممن ذهب من الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت عتبان بن مالك رضي الله فلو فقه عمر هذا من فعل النبي عند عتبان لكان أولى بالاتباع، وهو مَن هو مِن الصحابة، وعليه فكل ما في الأمر مما يظهر لنا من فعل عتبان ملخصه هو:

أن عتبان كَلَّ بصرُه، فأراد أن يصلي في بيته ويطمئن من إقرار النبي لفعله أولاً، ثم يطمئن للقبلة كذلك وهو ضرير وكذلك أن يكون المسجد مكان صلاة رسول الله واعتقادًا منه وهي عقيدة كل مسلم أن اختيار الله لنبيه هو أفضل اختيار حتى وإن وقع ذلك اتفاقًا ولم يأمر به رسول الله، وأن الصورة التي يفعلها عتبان مثل الذي فعل النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يتجاوزه إلى ما لا يشرع من تبرك ونحو ذلك، فلا يُعظِّم الا ما عظَّمه الشرع ولا يفعل ما كان مفضيًا لبدعة كما هو حال كثير ممن يعظمون الأماكن والمشاهد الآن مما لم يشرعه الله. (للمزيد يُنْظَر: الحوادث والبدع للطرطوشي (ص: ١٥٩- ١٦١) بعضه مستفاد منه)

هذا ويتفرع على مسألة عتبان رضي الله عنه هذه مسألة أعم وهي: هل تُعظَّم البقع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم عمومًا؟ وللجواب عن ذلك ننقل جواب شيخ الإسلام ابن تيمية في المجلد العاشر (فصل في الاقتداء بالرسل) قال: "وما فعله النبي صلى الله عليه وسلم على وجه التعبُّد، فهو عبادة يُشرَع التأسي به فيه.

فإذا خصَّص زمانًا أو مكانًا بعبادة، كان تخصيصه بتلك العبادة سُنة؛ كتخصيصه العشر الأواخر بالاعتكاف فيها، وكتخصيصه مقام إبراهيم بالصلاة فيه، فالتأسي به أن يُفعَل مثل ما فعل، على الوجه الذي فعل... وذلك إنما يكون بأن يقصد مثلما قصد،.. أما لو فعل فعلًا بحكم الاتفاق مثل نزوله في السفر بمكان،.. ونحو ذلك، فهل يستحب قصد متابعته في ذلك؟ كان ابن عمر يحب أن يفعل مثل ذلك. وأما الخلفاء الراشدون، وجمهور الصحابة، فلم يستحبوا ذلك؛ لأن هذا ليس بمتابعة له؛ إذ المتابعة لابد فيها من القصد، فإذا لم يقصد هو ذلك الفعل، بل حصل له بحكم الاتفاق كان في قصده غير متابع له" (يُنظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ١٠ فصل في الاقتداء بالأنبياء).

مسألة: إجراء أحكام المسلمين على الظاهر

وهو مستفاد من حكمه صلى الله عليه وسلم على مالك بن الدخشم، وهي من المسائل المهمة في مذهب أهل السنة في الحكم على الناس، وهو من باب التكليف بما هو مُستطاع؛ إذ لا يَعرف ما في القلوب إلا الله، يقول الإمام الشاطبي في (الموافقات ج٢٧١): (إن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصًا، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عمومًا؛ فإن سيد البشر مع إعلامه بالوحي يجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغيرهم، وإن علم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه).

واستند أهل السنة في تقريرهم لهذا الأصل العظيم إلى أدلة كثيرة؛ منها:

١- قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (سورة النساء:٩٤)

٢- واستدلوا بقوله-صلى الله عليه وسلم-: "أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله"(متفق عليه).

والشاهد من الحديث قوله: "وحسابهم على الله".. وقال الحافظ في الفتح: (أي: أمر سرائرهم.. وفيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر) (فتح الباري١ /٧٧).

٣- واستدلوا أيضًا بقصة أسامة رضي الله عنه المشهورة عندما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية إلى الحرقات من جهينة؛ قال شيخ الإسلام في تعليقه على هذا الحديث ".. فإن الإيمان الذي عُلقت به أحكام الدنيا، هو الإيمان الظاهر وهو الإسلام؛ فالمسمى واحد في الأحكام الظاهرة) (يُنظر: كتاب الإيمان، ص٢٩٨).

والحمد لله رب العالمين.

الأسباب المعينة على الارتقاء بالمشاعر

إظهار المشاعر، والإعلام بالمحبة

الحلقة الثانية

إعداد **د. محمد ابراهيم الحمد**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فإن من الأسباب المعينة على الارتقاء بالمشاعر: «إظهار المشاعر والإعلام بالمحبة»، فلا بد لدوام المودة، والقضاء على روح البغضاء من اغتنام الفرصة لإظهار العاطفة المكنونة، فلا يكفي مجرد المحبة القلبية، والشعور المضمر، بل لا بد من إظهار ذلك؛ حتى تتأكد أسباب الصلة، ولأجل أن يكون المرء على ثقة ويقين من مودة أخيه.

ولهذا تظاهرت الأحاديث النبوية في بيان هذا المعنى، والتأكيد عليه. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أحب أحدكم أخاه فلْيُعْلِمْه أنه يحبُه». (رواه أحمد: ١٧٣٠٣، وأبو داود: ٥١٢٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله، فليخبره أنه يحبه لله عز وجل». (صححه الألباني في الصحيحة: ٧٩٧)رواه أحمد.

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر به رجل، فقال: يا رسول الله؛ إني لأحب هذا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أعلمته؟» قال: لا، قال: «أعلمْه». قال: فلحقه، فقال: إني لأحبك في الله، فقال: أحبك الله الذي أحببتني له. (رواه أبو داود: ٥١٢٥).

ولقد صرح عليه الصلاة والسلام مرارًا كثيرة بمحبته لأناس بأعيانهم؛ فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «يا معاذ إني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك». (رواه أبو داود: ١٥٢٢).

وعقد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بابًا قال فيه: «باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار: أنتم أحبّ الناس إليَّ».

ثم ساق الحديث بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم النساءَ والصبيانَ مقبلين- قال: حسبت أنه قال من عرس- فقام النبي صلى الله عليه وسلم ممثلاً، فقال: «اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ». قالها ثلاث مرار. (البخاري: ٣٧٨٥).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها صبي لها، فكلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إليَّ» مرتين. (البخاري: ٣٧٨٦، ومسلم: ٢٥٠٩).

قال الفضيل بن الربيع: «احلف لأخيك أنك تحبه، واجتهد في تثبيت ذلك عنده؛ فإنه يستجد لك حبًا، ويزداد لك ودًا». (الصداقة والصديق ص٤٤).

وقال أبو طائع الطلحي: «كتب الجراحي إليَّ مرة: الله يعلم أنك ما خطرت ببالي في وقت من الأوقات إلا مَثَّل الذكرُ منك لي محاسن تزيدني صبابة إليك، وضنًّا بك، واغتباطًا بإخائك». (الصداقة والصديق ص٤٧).

ويزداد هذا الباعث- أعني إظهار المشاعر والإعلام بالمودة- بين الأصدقاء خصوصًا إذا حصل بينهما غربة وتفرق؛ فإن ذكر أحدهما للآخر، ومكاتبته، وإبداء الشوق له- أدعى لقوة الصلة، وتأكيدها.

اللهم الف بين قلوب المسلمين.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة (٨٣)

إعداد/ علي حشيش

٧٧٢- «صوم يوم عرفة كصوم ستين سنة».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٩٣٨- الغرائب الملتقطة) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه مرفوعًا، وعلته محمد بن تميم الفِريابي.

قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٠٦/٢): «محمد بن تميم السعدي الفريابي يضع الحديث، تعلق محمد بن كرَّام برجله، ليس عند أصحابنا عنهما شيء، وإنما ذكرناهما لئلا يتوهم أحداث أصحابنا أن شيوخنا تركوهم للإرجاء فقط، وإنما كان السبب في تركهم إياهما أنهما كانا يضعان الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وَضْعًا». اهـ.

ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٤٩٤/٧٢٩٠) ما قاله الحافظ ابن حبان وأقره؛ حيث قال: «محمد بن تميم السعدي الفريابي شيخ محمد بن كرَّام، قال ابن حبان وغيره: كان يضع الحديث».

فائدة: يغني عن هذا الحديث الموضوع ما أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب «الصيام» (ح١٩٧) من حديث أبي قتادة الأنصاري رضى الله عنه، قال: «سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن صوم يوم عرفة؟ قال: يُكفِّر السنة الماضية والباقية».

٧٧٣- «فضل حَمَلة القرآن على الذي لم يحمله كفضل الخالق على المخلوق».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٢١٢- الغرائب الملتقطة) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعًا، وعلته محمد بن تميم الفريابي، وقد بينًا حاله آنفًا لذلك قال الحافظ ابن حجر: «هذا حديث كذب».

٧٧٤- «خُيِّرَ سليمان بين المُلك والمال والعلم، فاختار العلم، فأُعطي المُلك والمال، لاختياره العلم».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٥٤٦- الغرائب الملتقطة) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وعلته محمد بن تميم وهو الفريابي؛ حيث جاء بنفس طريق الحديث السابق: محمد بن تميم الفريابي، عن حفص بن عمر، عن الحكم بن

أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعًا، والفريابي هذا كما بينا آنفًا وضّاع، وقال الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٤٣/٧): «كذّاب يضع الحديث». اهـ.

٧٧٥- «رأيتُ ربي بمنى يوم النفر على جملٍ أَوْرَق عليه جُبَّة صوفٍ أمام الناس».

الحديث لا يصح: أورده القاري في «الموضوعات» (ح١٣٧) وقال: «موضوع لا أصل له، كذا في «الذيل»». اهـ. قلت: أي «ذيل الموضوعات» للسيوطي (ص٢)؛ ومن غريب ألفاظ هذا الحديث الموضوع: «يوم النفر» وهو اليوم الثالث من أيام عيد الأضحى ينفر فيه الحجاج ويندفعون من منى إلى مكة المكرمة، فسُمِّيَ يوم النفر لذلك.

٧٧٦- «إنَّ نزول الله إلى الشيء إقبالهُ عليه من غير نُزُول».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢٤٦/٢) من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعًا، وعلته عبد العزيز بن إسحاق بن البقال، نقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٥٠٨٣/٦٢٣/٢): أن ابن أبي الفوارس الحافظ قال: له مذهب خبيث، ولم يكن في الرواية بذاك، سمعت منه أحاديث رديَّة». اهـ.

وأورد له الإمام الذهبي هذا الحديث من منكراته، ثم قال: «إسناد مظلم ومتنه مختلَق». اهـ.

وأورد هذا الحديث ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١٣٨/١)، ونقل قول الإمام الذهبي فيه.

٧٧٧- «اتقوا ذَوِي العاهات».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة» (ح٢١)، وقال: «لم أقف عليه». اهـ.

٧٧٨- «صومُ يوم التروية كفارةُ سنةٍ، وصوم يوم عرفة كفارة سنة».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٣٩٤٠- الغرائب الملتقطة) من حديث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مرفوعًا، وعلته الكلبي أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٧٤/٥٥٦/٣) قال: «محمد بن السائب الكلبي أبو النضر، ثم نقل أن يحيى بن معين قال: الكلبي ليس بثقة». وقال الجوزجاني وغيره: «كذاب»، وقال الدارقطني وجماعة: متروك، وقال ابن حبان: «مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، يروي عن أبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع الكلبي من أبي صالح». اهـ. فالحديث موضوع.

٧٧٩- «يومُ صومكم يوم نحركم».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السيوطي في «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة» (ح٤٦٣)، وقال: «كذب لا أصل له». اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» النوع (٣٠): «وقد يشتهر بين الناس أحاديث لا أصل لها، أو هي موضوعة بالكلية، وهذا كثير جدًا». اهـ. ثم ذكر هذا الحديث منها.

٧٨٠- «إن العبد ليُنْشَر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضةٍ».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٦٢/١) وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «حديث إن العبد لينشر له.. لم أجده». اهـ.

الحلقة الرابعة والعشرون

والفجر وليالٍ عشر

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد اختصَ الله سبحانه وتعالى بعض الأزمنة بخواصَ لم يختصَ بها غيرها؛ ففضّلها على سائرها، ورغَب في اغتنامها، والتعرُض لنفحاتها، لتكون مغنمًا للطائعين، وميدانًا لتنافس المتنافسين.

قال ابن رجب: «كما جعل بعض الأيام والليالي أفضل من بعض، وجعل ليلة القدر خيرًا من ألف شهر، وأقسم بالعشر.. وما من هذه المواسم الفاضلة موسم إلا ولله تعالى فيه وظيفة من وظائف طاعته، يتقرب بها إليه، ولله فيه لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يعود بفضله ورحمته عليه.

فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها النار وما فيها من اللفحات» (لطائف المعارف: ص ٤٠).

ومن هذه المواسم الفاضلة: عشر ذي الحجة التي تحل علينا هذه الأيام، أيام مباركات، تضاعف فيها الأعمال، وتزداد فيها الدرجات، ويعظم فيها الثواب. إنَّ عشر ذي الحجة سوقٌ للمُتاجَرة مع الله، وموسمٌ للرِّبح الأخـرَوِي، أيَّامها هي أفضَلُ الأيَّام وأحبُّها إلى الله عز وجل.

فحريٌ بالمسلم أن يخصَ هذه الأوقات بمزيد من التَعبُد والطاعة لله-سبحانه وتعالى- والإكثار من العمل الصَالح فيها.

أولًا: فضائلُ العشرِ من ذي الحجَة:

١) أن الله تعالى أقسم بها:

قال تعالى: «وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ» (الفجر: ١ – ٢).

ولا يقسم الله تعالى إلا بعظيم، فالقَسَم بها يدلُ على عظمتها ورفعة مكانتها وتعظيم الله تعالى لها.

واختلف العلماء هل المقصود بالعشر في الآية العشر ليال من ذي الحجة أم العشر الأواخر من رمضان؟

وجماهير العلماء على أنها: العشر من ذي الحجة.

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا: أنها عشر الأضحى، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه. (جامع البيان ٢٤/٣٩٧).

٢) فيها أكمَلَ الله عز وجل الدِين، وأتَمَّ على عِبادِه النِعمة:

عن عمر بن الخطاب: «أنَّ رجلاً منَ اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا- معشرَ اليهود - نزلتْ، لاتَّخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أيُّ آية؟ قال: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» (المائدة:٣)، قال عمر: قد عَرَفْنَا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلتْ فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائمٌ بعَرَفَة يوم جمعة»(صحيح البخاري ٤٥، وصحيح مسلم ٣٠١٧).

قال ابن حجر: «وكان ذلك في حجة الوداع التي هي آخر عهد البعثة حين تمت الشريعة وأركانها». (فتح الباري ١/١٠٦).

٣) اجتماع أمهات العبادة في هذه الأيام العشر:

ففيها الصَلواتِ، والصَدقات، والصوم لِمَن أراد التطوُع

أو لِم يجد الهدْي، وفيها الذِّكر والتَّكبير والتَّلبية والدُّعاء، وفيها حجُّ البيت الحرام.

٤) العمل الصالح فيها أحب إلى الله، وأفضل من الجهاد في سبيله:

عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذه؟» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء» (صحيح البخاري ٩٦٩).

قال ابن رجب: «وقد دل هذا الحديث على أن العمل في أيامها أحب إلى الله من العمل في أيام الدنيا من غير استثناء شيء منها، وإذا كان أحب إلى الله فهو أفضل عنده... وإذا كان العمل في أيام العشر أفضل وأحب إلى الله من العمل في غيره من أيام السنة كلها صار العمل فيه وإن كان مفضولاً أفضل من العمل في غيره وإن كان فاضلاً، ولهذا قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله... وهذا يدل على أن العمل المفضول في الوقت الفاضل يلتحق بالعمل الفاضل في غيره ويزيد عليه لمضاعفة ثوابه وأجره». (لطائف المعارف ١/ ٢٦٠).

٥) فيها يوم عرفة:

وهو اليوم التاسع من ذي الحجَّة، ومن فضائله:

أ- أنَّه اليوم الذي أكمل الله فيه الملة، وأتم به النعمة:

قال تعالى: «ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ » (المائدة: ٣).

ب- صيامه يُكفِّر السنة الماضية والسنة القابلة:

قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى الله أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ) (صحيح مسلم ١١٦٢).

قَالَ الْمُظْهِرُ: وَقِيلَ: تَكْفِيرُ السَّنَةِ الْآتِيَةِ أَنْ يَحْفَظَهُ مِنَ الذُّنُوبِ فِيهَا.

وَقِيلَ: أَنْ يُعْطِيَهُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالثَّوَابِ قَدْرًا يَكُونُ كَفَّارَةً لِلسَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقَابِلَةِ إِذَا جَاءَتْ وَاتَّفَقَتْ لَهُ ذُنُوبٌ. (مرقاة المفاتيح ٤/١٤١٥).

وهذا الصيام لغير الحاج، وأما الحاج فلا يسن له صيام يوم عرفة؛ ليتقوى على العبادة.

عنْ أمِّ الفَضْل بنْت الحارث: أنَّ نَاسًا تمارَوا عنْدَها يَوْمَ عَرفة في صَوم النَّبي صلى الله عليه وسلم فقالَ بَعضُهُم هُوَ صَائمٌ وَقَالَ بعضُهُمْ لَيْسَ بصائم فأرْسَلَتْ إلَيْه بقَدَح لبَن وهُوَ وَاقفٌ على بعيره فشَرِبَهُ. (صحيح البخاري ١٩٨٨، وصحيح مسلم ١١٢٣).

قال النووي: «وَلِأَنَّهُ أَرْفَقُ بِالْحَاجِّ فِي آدَابِ الْوُقُوفِ وَمُهِمَّاتِ الْمَنَاسِكِ..» (شرح النووي على مسلم ٨/٢).

ج- عظم الدعاء يوم عرفة:

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْب عَنْ أَبِيه عَنْ جَدِّه أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (سنن الترمذي ٣٥٨٥، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب ١٥٣٦).

قال المباركفوري: «لِأَنَّهُ أَجْزَلُ إِثَابَةً وَأَعْجَلُ إِجَابَةً» (تحفة الأحوذي ١٠/٣٣).

د- كثرة العتق من النار في يوم عرفة:

قَالَتْ عَائِشَةُ إنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ الله فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ» (صحيح مسلم ١٣٤٨).

٦) فيها يوم العيد:

وهو يوم عيد المسلمين أبدلهم به خيرًا من أعياد الجاهلية:

عن أنس رضي الله عنه قال: قَدِمَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: «مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟»، قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: (إِنَّ الله قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ» (سنن أبي داود ١١٣٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٠٢١).

قال البدر العيني: "فلما ظهر الإسلام، أبدل الله منهما هذين اليومين اللذين يظهر فيهما تكبير الله تعالى وتحميده وتوحيده ظهوراً شائعاً يغيظ المشركين، وقيل: إنهما يقعان شكراً على ما أنعم به من أداء العبادات التي وقتها، فعيد الفطر شكراً لله تعالى على إتمام صوم رمضان، وعيد الأضحى شكراً لله تعالى على العبادات الواقعة في العشر، وأعظمها إقامة وظيفة الحج". (شرح سنن أبي داود للعيني ٤/٤٧٧).

ثانيًا: ما يستحب من أعمال في العشر من ذي الحجة:

تعظيم حرمات الله:

وذلك بالتوبة، والإقلاع عن الذنوب والمعاصي، وتعظيم ما عظمه الله، ومنها: الأشهر الحرم.

قال تعالى: « ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ » (الحج: ٣٠).

قال تعالى: « ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ » (الحج: ٣٢).

قال السعدى: "وحرمات الله: كل ما له حرمة، وأمر باحترامه، بعبادة أو غيرها؛ كالمناسك كلها، وكالحرم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد

بالقيام بها، فتعظيمها إجلالها بالقلب، ومحبتها، وتكميل العبودية فيها، غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متثاقل...

وتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه؛ لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله" (تيسير الكريم الرحمن ١/٥٣٧).

٢) المحافظة على الفرائض:

قال تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» (المعارج: ٣٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللّٰه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «إِنَّ اللّٰه تَعَالَى قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» (صحيح البخاري ٦٥٠٢).

٣) الاجتهاد في العمل الصّالح مُطلقًا:

لقوله صلى الله عليه وسلم: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذه؟» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء» (صحيح البخاري ٩٦٩).

٤) الإكثار من ذكر الله سبحانه:

لقوله تعالى: «وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ» (الحجّ:٢٨)؛ فيكثر فيهنَّ من التّهليل، والتّكبير، والتّحميد، والاستغفار، وتلاوة القرآن، وغير ذلك.

قال ابن رجب: "وأمَّا استحباب الإكثار من الذِّكر فيها- أي: في أيام العشر-؛ فقد دلَّ عليه قوله سبحانه: «وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ» (الحج: ٢٨)، فإنَّ الأيام المعلومات هي أيام العشر عند جمهور العلماء" (لطائف المعارف ١/٢٦٣).

وقال النووي: "يستحب الإكثار من الأذكار في هذه العشر زيادةً على غيرها، ويتأكّد ذلك في يوم عرفة أكثر من باقي العشر" (الأذكار للنووي ١/١٧٣).

٥) الدُّعاء:

قال تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» (البقرة:١٨٦). وقد مَرَّ حديث عَمْرو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيه عَنْ جَدِّه أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ...» الحديث.

٦) الصيام:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قَالَ اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِه» (صحيح البخاري ٤٦١٩، وصحيح مسلم ١١٥١).

قَالَ النَّوويُّ عن صيام هذه الأيَام: «هيَ مستحبة استحبابًا شديدًا لا سيما التَّاسِعُ مِنْهَا وَهُوَ يَوْمُ عرفة» (شرح صحيح مسلم ٤/٣٢٨)

وأفضلها وآكدُها صومُ يوم عرفة لِمَنْ لم يكن حاجًّا، يقول صلى الله عليه وسلم في صيام يوم عرفة.

٧) الصدقة:

وهي من جملة الأعمال الصالحة التي يستحب للمسلم الإكثار منها في هذه الأيام، وقد حث الله عليها فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (البقرة:٢٥٤).

٨) ذبحُ الأضاحي:

عملاً بسنّة سيّد المرسلين، واقتفاءً لأثر إمام الحنفاء؛ أبينا إبراهيمَ صلى الله عليه وسلم، وفيها تقرب إلى الله تعالى بإراقة الدم، وفي الأضحية توسعة على الأهل والفقراء يوم العيد، والإهداء لذوي القربى والجيران.

قال تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ» (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

وقال تعالى: «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» (التكاثر:٢).

وقال تعالى عن الهدي: «فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ» (الحج:٢٨).

٩) التكبير للأضحى:

قال الله تعالى: «واذكروا الله في أيام معدودات» (البقرة: ٢٠٣)

عن أم عطية قالت: «كنا نؤمر بالخروج في العيدين والمخبأة والبكر. قالت: الحيض يخرجن فيكن خلف الناس يكبرن مع الناس». (رواه البخاري ٩٧٤، ومسلم ١١-٨٩٠).

كما يشرع التكبير دبر كل صلاة في أيام التشريق، وهو قول جمهور العلماء.

١٠) صلاة العيد:

قال تعالى: «فصل لربك وانحر» (الكوثر:٢).

عن أم عطية قالت: «كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد، حتى نخرج البكر من خدرها، حتى نخرج الحيض فيكن خلف الناس فيكبرن بتكبيرهم ويدعن بدعائهم، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته» (صحيح البخاري ٩٧١، ومسلم ١١-٨٩٠).

نسأل الله أن يوفقنا لعمارة مواسم البر بأفضل الأعمال الصالحة التي يرضى بها عنّا، ويحسن ختامنا أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

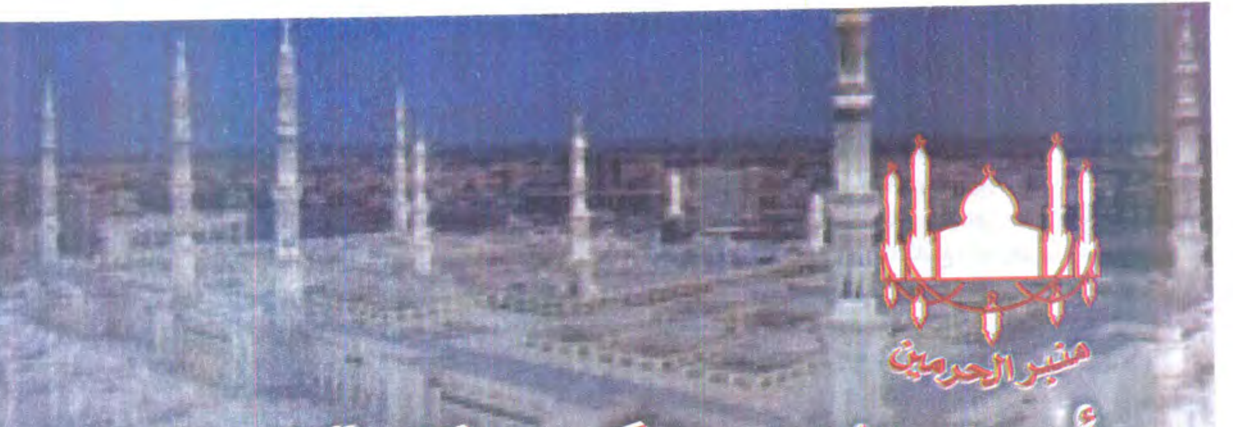

منبر الحرمين

أسرار الحج وحكمه وكلمة للحجيج

الحمد لله مقدر الأزمان والدهور، مجري الأحداث والأعمال على قدرها المقدور، أحمده- سبحانه- هو أهل الحمد والمجد والكمال، لا يشغله حال عن حال، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، شهادة الحق واليقين، فيها النجاة والثبات يوم الدين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله الصادق الأمين المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه ورفع درجته على الناس أجمعين، والصلاة والسلام على آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين وزوجاته أمهات المؤمنين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إعداد **الشيخ د: صالح بن عبد الله بن حميد**

خطيب المسجد الحرام

أما بعد: فأوصيكم-أيها الناس- ونفسي بتقوى الله-عز وجل-، فاتقوا الله-رحمكم الله- فلله در أقوام امتثلوا ما أمروا، وزُجروا عن الآثام فانزجروا، جن الليل عليهم فسهروا واجتهدوا في المطلوب فجدوا ورغبوا وحرضوا، ربحوا وما خسروا، وعاهدوا فما غدروا، واعترفوا بنعم مولاهم فشكروا، لقد ذكروا بالذكر فذكروا: (إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا) (المؤمنون:١١١).

أيها المسلمون حجاج بيت الله: تقبل الله حجكم وأحسن عملكم، وجعل حجكم مبرورًا وسعيكم مشكورًا، وأعادكم إلى دياركم سالمين غانمين موفورة أجوركم، متقبلة أعمالكم، صالحة شؤونكم، محفوظين في دينكم وأهلكم.

من أسرار الحج:

أيها المسلمون حجاج بيت الله: وأنتم تتطلعون لشهود منافع الحج وحكم التشريع وأسرار الشرائع، فهذا هو الحج فريضةٌ محكمةٌ، وركنٌ من أركان الإسلام راسخ، من خصائصه أنه أكثر نفقةً وأكثر مشقةً وأعظم تضحيةً؛ ولذا كان الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة، ومن حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

الحج رحلة العمر والحياة إلى بيت الله المحرم، يقترن به غالبًا زيارة مباركة إلى مسجد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

حجاج بيت الله: تقبل الله منا ومنكم، وبلَّغنا منافع الحج، شعائر الإسلام الكبرى-الصلاة والصيام والزكاة والحج- تتجلى فيها جميعًا وحدة المسلمين واتحاد شعائرهم ومشاعرهم، تؤتى كلها في أوقات معلومة، وشعائر ظاهرة، ليس لأحد أن يزيد فيها أو ينقص؛ فالصلاة أوقاتها خمسةٌ معلومة، والصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والزكاة في وقتها معلوم؛

(وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ) (الأنعام:١٤١)، و(ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ) (البقرة:١٩٧).

إن شعائر الإسلام تجمع المسلمين على توجه واحد وتوحيد واحد وممارسة واحدة، يستشعرون معاني الإخوة والمشاركة، ويشعرون بعظمة التجمع في مسجد الحي، ومسجد الجمعة الجامع، والمسجد الحرام، والمشاعر العظام، والمسجد النبوي الشريف.

والحاج يجتمع له ذلك كله في رحلته المقدسة من صلاة ونفقة وسفر ورفقة، ينخلع عن أهله وولده وبيته وعمله وراحته، في أيام عظيمة، ونفحات إيمانية ومشاعر دفاقة، أيام إقبال على الله وابتغاء مرضاته في أماكن مقدسة طاهرة، يتجرد فيها عن الدنيا ومظاهرها، يطرق أبواب الرحمة والمغفرة، يتعرض لنفحات ربه في هذه المواقف الشريفة في عرفة والمشعر الحرام ورمي الجمار والطواف بالبيت المحرم وبين الصفا والمروة، أيام حج مباركة، وأعمال من الطاعات والقربات يتوافد فيها الحجيج، يحملهم الطهر ويحدوهم الأمل من رب كريم، في مظهر فريد في دنيا البشر لا نظير له ولا مثيل في أي مكان أو أي زمان إلا لأهل الإسلام وديار الإسلام.

ملايين البشر من المسلمين اعتزلوا ما ألفوا، الكل في موقف واحد، آوتهم الخيام، وتجردوا من ثياب الترف والزينة، لئن كانوا في ديارهم يمثلون أذواقًا مختلفةً وأنماطًا متغايرةً وعادات متباينة، وأصواتهم متفاوتةٌ ولغاتٌ ولهجاتٌ متنوعة؛ فإنهم في يوم عرفة لونهم البياض، ولباسهم الإزار والرداء، ولغتهم التلبية والتسبيح والتكبير والتهليل والدعاء والاستغفار، ومشاعرهم مشاعر الضراعة والقرب، والابتهال في القلوب إيمانٌ وفي الألسنة ذكرٌ، وفي المشاعر رغباتٌ وآمال بالفوز والنجاة والقبول والمغفرة.

معاشر الإخوة حجاج بيت الله: ومن شهود منافع الحج والنظر في حكم التشريع وأسرار الدين ما أعلنه نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع من معالم الإسلام ومبادئه العظام، ومما تقتضيه المناسبة ما ذكروه من شأن المال ونظامه وتنظيمه، وعالم اليوم يعيش أزمة مالية خانقة، لقد قال-عليه الصلاة والسلام- فيما قال في هذا اليوم العظيم والمشهد الكبير: "كل ربا موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون". وفي نظرة موجزة فيما عليه نظام المال واقتصاده في الإسلام يتبين أين الخلل وأين المشكلة وأين الحل.

المال-عباد الله- له دائرتان: دائرة الكسب ودائرة الإنفاق:

أما دائرة الكسب: فهي إحدى صور العمل، ومنْ كَدَّ وعمل فهو حقيق بأن ينال جزاء عمله، وكسبه من جهده المبذول حسب قدرته وخبراته العلمية والبدنية والعقلية، وهذه القدرات والخبرات والقوى تختلف بين الناس اختلافا بيّنا؛ ومن هنا فإن مكاسبهم ونتائج أعمالهم واستحقاقاتهم تختلف كذلك، وفي ميدان العمل والكسب كذلك؛ فإن الإسلام يفرّق بين الحلال والحرام، فكل درهم يأخذه الإنسان من غير وجهه فهو حرام وسحت، وكل لحم نبت عن سحت فالنار أولى به، منْ غش وظلم وكذبٍ وتدليس وكتمان واحتكار، والمال لا ينتج مالاً، والزمن لا يمنح ربحًا، وإنما يُكسب المال بالعمل والجهد والجد والكسب.

وكل تعدٍ على الآخرين وارتكابٍ للحيل للاستحواذ على أموال الناس سحتٌ وحرامٌ وممنوعٌ في شرع الله ودينه، وجمع المال واكتنازه من غير أداء حق الله فيه مسلك في الشرع ممنوع، ناهيكم مما يجب التحلي به من الأخلاق العالية والقيم الرفيعة والصدقة والبذل والإحسان والرفق والسماحة في البيع والشراء وحسن الأداء والقضاء.

أما الدائرة الثانية: فهي دائرة الإنفاق؛ فدين الإسلام يدعو إلى الإنفاق من غير إسراف ولا تقتير، بل نهجه النهج القوام مما يبني ثقافة الصرح والاستهلاك الرشيد: (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ

قَوَامًا) (الفرقان:٦٧)، (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (الإسراء:٢٩)، إنفاق يحارب البذخ والسرف والخيلاء والشح والتقدير مما يذهب بالمال من غير وجهه، ويورث الحسد والبغضاء ويوقع الفحشاء: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦٨).

ليس الاقتصاد وحداتٍ حسابيةً، أو تعظيمًا للربح والمنفعة العاجلةَ والنهم والجشع على حساب الحق والعدل والرحمة والصدق والرفق وحسن التعامل، ويكفي من مظاهر الظلم تسريح العمال وازدياد البطالة، وإذا زاد الإنتاج ألقوا بالفائض في البحر أو في النهر غرقًا وحرقًا حتى لا ترخص الأسعار وحتى لا يحل الرخاء، ولو مات العالم جوعًا وعريًا، ناهيكم بالعبث بالأسواق والأسعار وسوء استخدام أجهزة الإعلام في تحقيق المكاسب الحرام وخداع عباد الله.

وبعد: عباد الله: ماذا يصنع من يؤم هذا البيت إذا لم يكن فيه ورعٌ يحجزه عما حرَّم الله، وحلمٌ يضبط به جهله وحسن صحبةٍ لمن يصحب؛ فلا تحقرن من المعروف شيئًا، فجنات عدنٍ أعدها الله للذين ينفقون في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين.

أيها الحاج الكريم- وقد حفظك الله فأتم لك نسكك، ويسر لك طريق العبادة-: اعلم أن حفظ حقوق إخوانك والالتزام بآداب الإسلام يمحو آثار الذنوب وظلمة الآثام؛ يتحرى الحاج كل برٍّ، ويتباعد عن كل منكرٍ؛ تقربًا إلى الله وأخوة للمؤمنين.

إن الحج في وفوده وحشوده تأكيدٌ لهذه الارتباطات، وتجسيدٌ لتلك المشاعر، صفوفٌ في الأبدان، وشهودٌ في الأفئدة، الحج رمز الوحدة والتوحيد، وعنوان البذل والتضحية، ملتقى المسلمين الأكبر يوم الحج الأكبر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (البقرة:٢٠٠-٢٠٢).

الحج فرصة لتقوية أواصر الرابطة الإيمانية

أيها المسلمون حجاج بيت الله: مهما تنوعت سبل الاتصال وتعددت وسائل التعاون وتزايدات عوامل التأثير - فإن رابطة الإسلام لا يعدلها رابطة.. وأخوة الدين لا يماثلها أخوة، ومشهد الحج العظيم ومنافعه المشهودة تجسد هذه الأخوة وتبرز معالم الوحدة الإسلامية في المظهر والمخبر وفي اللباس والشعائر.. وحدة الصف ووحدة هدف.. شعار التوحيد لفظًا وعقيدة تهليلًا وتكبيرا وتلبيةً وتنزيها: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك.

معاشر الحجيج: والحديث عن مظاهر الوحدة وعن الشعائر والمشاعر التي ترسخ هذه الرابطة وتؤكد هذه الأخوة حديث ذو شجون وخبرٌ ذو شعب، والمسلمون من جميع أنحاء الدنيا حين يتوجهون إلى هذه الديار المقدسة يتمثلون وحدتهم الجامعة ويتطلعون إلى العمل الصالح وإلى ذكر الله وشكره وحسن عبادته.. يجسدون أخوتهم الإيمانية ويتناسون خلافاتهم، بل يتركون اهتماماتهم في شئون دنياهم وراءهم ليتفرغوا للعبادة ويستغلوا ثمين أوقاتهم لتحصيل فضل هذه البقاع المقدسة وبركات الحرمين الشريفين.

معاشر الإخوة: ومن التزام أخوة الدين وتأكيد رابطة الإسلام: إبعادُ الحج عن أي مشوِّشٍ على مظهر الوحدة ومعكرٍ على الغايات الساميةِ؛ من ذكر الله والتزود منَ البر والتقوى: (لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) (الحج:٢٨) (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا

فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ) (البقرة:١٩٧)..

ومن حق أخوة الإسلام اجتناب أي صورة من صور الفوضى والبلبلة تحت أي دعوى، واستنكار أي محاولات للتشويش والمهاترات.. إن أهل الإسلام عمومًا وحجاج بيت الله خصوصًا يعلمون أن القصد إلى هذا التشويش والبلبلة يقود إلى الانشقاق والفرقة بين المسلمين.. يؤذي الحجاج وهم يؤدون مناسكهم.

نعم-ضيوف الرحمن-: لا يمكن أن يُحوَّل الحج إلى منابر سياسية تتصارع فيها الأفكار والأحزاب والطوائف والمذاهب وأنظمة الحكم؛ مما يعني-بلا شك ولا ريب- الانحراف الخطير والانجراف المدمر عن أهداف الحج وغاياته: (فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ) (البقرة:١٩٧)..

الحج والديار المقدسة ليست ميدانًا لنقل الخلافات وتصفية الخصومات.. إنها فوق الخلافات السياسية والعصبيات المذهبية، إن الإقدام على مثل هذا يقود إلى الفتنة والعبث بأمن الحج والحجيج وشق لصف المسلمين وفتح لساحات الجدل العقيم.. لا يقول مسلمٌ بفصل الدين عن السياسة ولا بفصل الدين عن الدولة.. ولكن لا يجوز استغلال الدين ومواسم العبادة وتجمعات المسلمين في المشاعر المقدسة لأغراض مسيسة وصرف الأنظار عن معاناة يعيشها من يعيشها ومشكلاتٍ واقع فيها صاحبها.. يجب إبعاد الفريضة المقدسة عن مثل هذه الأغراض، إن الخوض في هذا والانشغال فيه إفسادٌ لمقاصد الحج الإيمانية وحرمانٌ لضيوف الرحمن من الأمن والأمان والتفرغ للعبادة واستشعار قدسية الزمان والمكان وافتعالٌ لقضايا خلافية تزيد من فرقة الأمة وتشرذمها.

ألا فاتقوا الله-رحمكم الله- واشهدوا منافع حجكم، وتأملوا أسرار التشريع وحكمه وأحكامه، واذكروا الله واشكروه على ما يسَّر من بلوغ بيته وقضاء النسك بأمن وأمان ويسر واطمئنان: (فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ) (البقرة: ٢٠٢).

ثم صلوا وسلموا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة نبيكم محمد رسول الله؛ فقد أمركم بذلك ربكم فقال-عز قائلا عليمًا- في محكم تنزيله قولا كريمًا: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا) (الأحزاب:٥٦). اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبيك محمد، صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، والخلق الأكمل، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين، والأئمة المهديين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجودك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

عزاء واجب

توفيت الي رحمة الله باذنه تعالي شقيقة الدكتور حمدي طه عضو اللجنة العلمية لمجلة التوحيد واسرة تحرير مجلة التوحيد يتقدم بخالص العزاء والمواساه داعين الله سبحانه ان يغفر لها ويرحمها وانا لله وانا اليه راجعون

رئيس التحرير

خصائص يوم عرفة

إعداد **عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبعدُ:

فإنَّ يوم عرفة يومٌ عظيم من أيام الله المباركة، ومجمع كبير من مجامع الخير والإيمان، وموسمٌ جليل من مواسم الطاعة؛ يومٌ تَكثر فيه العبرات، وتتوالى فيه الدعوات، وتتنزل فيه الرحمات، وتُقال فيه العثرات، وتُغفَر فيه الزلات، إنه يومٌ كريم مبارك، وقد خُصَّ بمزايا كريمة، وخصائص عظيمة، إنه اليوم الذي أكمل الله فيه لهذه الأمة الدِّين، وأتم فيه لهم النعمة؛ إذ فيه نزل قول الله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» (المائدة:٣)؛ فعن طارق بن شهاب قال: «جاء رجلٌ من اليهود إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرؤون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: وأي آية؟ قال: قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» (المائدة:٣)، فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم: عشية عرفة في يوم جمعة». (البخاري: ٤٦٠٦، ومسلم: ٣٠١٧).

إنه اليوم الذي رغَّب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في صيامه لغير الحاج؛ فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة؟ قال: «يُكفِّر السنة الماضية والباقية». (مسلم: ١١٦٢).

إنَّ يوم عرفة آكد أركان الحج، قال صلى الله عليه وسلم: «الحجُّ عرفة». (صحيح الجامع: ٣١٧٢).

لذا فإن الحاجّ يتهيأ لهذا اليوم تهيئة روحية، منذ أن يخرج من بيته يؤمَّ بيت الله الحرام.

إنه اليوم الذي يباهي به الله ملائكته بأهل عرفة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله عزوجل يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي شعثًا غُبرًا». (صحيح الترغيب: ١١٥٣)، فأيّ فضل ونبل يسمو إليه الحاج مثل هذا؟ فيسمو على مستوى البشرية، ويرقى إلى أعلى درجات الإنسانية، فيباهي به الله ملائكته، وهنا يتذكر الإنسان

قول الله تعالى للملائكة: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (البقرة:٣٠).

إنه اليوم الذي يكثر فيه عُتقاء الله من النار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟» (مسلم: ١٣٤٨).

قال ابن عبد البر رحمه الله: «وهذا يدل على أنهم مغفورٌ لهم؛ لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب إلا من بعد التوبة والغفران». (التمهيد ١/١٢٠).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنتُ جالسًا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى، فأتاه رجلٌ من الأنصار ورجل من ثقيف، فسلَّما، ثم قالا: يا رسول الله. جئنا نسألك. فقال: «إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فَعلتُ، وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلتُ». فقالا: أخبرنا يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وسلم: «جِئْتَني تَسألُني عن مَخْرَجِكَ من بَيْتِكَ تَؤُمُّ البيتَ الحرامَ، وما لكَ فيه، وعن رَكْعَتَيْكَ بعدَ الطَّوافِ وما لكَ فيهما، وعن طَوافِكَ بيْنَ الصَّفا والمَروةِ وما لكَ فيه، وعن وُقوفِكَ عَشيَّةَ عَرَفةَ وما لكَ فيه، وعن رَمْيِكَ الجِمارَ وما لكَ فيه، وعن نَحْرِكَ وما لكَ فيه، مع الإفاضةِ؟ فقال: والَّذي بَعَثَكَ بالحقِّ، لَعَنْ هذا جِئْتُ أَسأَلُكَ. قال: فإنَّكَ إذا خَرَجْتَ من بَيْتِكَ تَؤُمُّ البيتَ الحَرامَ، لا تَضَعُ ناقَتُكَ خُفًّا، ولا تَرْفَعُهُ؛ إلَّا كَتَبَ اللهُ لكَ به حسنةً، ومَحا عنكَ خطيئةً. وأمَّا رَكْعَتاكَ بعدَ الطَّوافِ؛ كعِتْقِ رَقَبةٍ مِن بَني إسماعيلَ. وأمَّا طوافُكَ بالصَّفا والمروةِ؛ كعِتْقِ سبعينَ رَقَبةً. وأمَّا وُقوفُكَ عَشيَّةَ عَرَفةَ؛ فإنَّ اللهَ يَهْبِطُ إلى سماءِ الدُّنيا فيُباهي بكُمُ المَلائكةَ، يَقولُ: عِبادي جاؤوني شُعْثًا مِن كلِّ فَجٍّ عميقٍ يَرْجُون رحْمتي، فلو كانتْ ذُنُوبُكُمْ كعددِ الرَّملِ، أو كقَطْرِ المطرِ، أو كزَبَدِ البحرِ؛ لغَفَرْتُها، أَفيضوا عِبادي مغفورًا لكُم، ولِمَن شَفَعْتُم لهُ. وأمَّا رَمْيُكَ الجِمارَ؛ فلكَ بكلِّ حصاةٍ رَمَيْتَها تكفيرُ كبيرةٍ منَ المُوبقاتِ. وأمَّا نَحْرُكَ؛ فمَدْخُورٌ لكَ عندَ ربِّكَ. وأمَّا حلاقُكَ رأسَكَ؛ فلكَ بكلِّ شَعرةٍ حَلَقْتَها حسنةٌ، وتُمْحى عنكَ بها خطيئةٌ. وأمَّا طَوافُكَ بالبيتِ بعدَ ذلكَ؛ فإنَّكَ تَطُوفُ ولا ذَنْبَ لكَ، يأتي مَلَكٌ حتَّى يَضَعَ يَدَيْه بيْن كَتفَيْكَ، فيَقولُ: اعمَلْ فيما تَستَقبِلُ؛ فقد غُفِرَ لكَ ما مَضى». (صحيح الترغيب: ١١١٢)، فأي فضل بعد هذا الفضل؟! وأي كرم بعد هذا الكرم؟! اللهم اجعلنا من هؤلاء يا كريم.

إنه يوم الدعاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيرُ الدعاءِ دعاءُ يوم عرفة، وخيرُ ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». (صحيح الجامع: ٣٢٧٤).

فيوم عرفة يوم الدعاء، والدعاء من العبادات العظيمة بل هو أجل أنواع العبادة وأفضلها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدعاء هو العبادة». (صحيح الجامع: ٣٤٠٧). والدعاء شأنه عظيم، وفضله كبير، وبه يتحصل العبد على سعادة الدنيا والآخرة، أمر الله به عباده، فقال سبحانه: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً» (الأعراف:٥٥)، وقال سبحانه: «هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» (غافر:٦٥)، وقال سبحانه: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» (البقرة:١٨٦)، وقال سبحانه: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (غافر:٦٠)، وحثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الدعاء ورغَّب فيه، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الدعاءَ ينفعُ ممّا نزَلَ ومما لم يَنْزِلْ فعليكم

عبادَ الله بالدعاء». (صحيح الترغيب: ١٦٣٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يردُّ القضاءَ إلا الدعاءُ، ولا يزيدُ في العمر إلا البرُّ». (صحيح الترغيب: ١٦٣٩). فالدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، وهو أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يُدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخفّفه إذا نزل. ولهذا فإن العبد كلّما عظمت معرفته بالله وقويت صلته به كان دعاؤه له أعظم، وانكساره بين يديه أشدّ، ولهذا كان أنبياءُ الله ورسله أعظم الناس تحقيقًا للدعاء في أحوالهم كلها وشئونهم جميعها، وقد أثنى الله عليهم بذلك، فقال سبحانه: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» (الأنبياء:٩٠)، فالدعاء هو روح هذا الدِّين، وزاد المؤمنين المتقين، وعنوانُ التذلل والخضوع لربِّ العالمين، وعليه فإنه ينبغي على حجاج بيت الله الحرام وغيرهم أن يغتنموا يوم عرفة في الدعاء؛ فقد عظَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن الدعاء فيه وبيَّن فضله؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «خيرُ الدعاء دعاءُ يوم عرفة». (صحيح الترغيب: ١٥٣٦).

قال ابن عبد البر رحمه الله: «وفيه أنَّ- أي: هذا الحديث- من الفقه أنَّ دعاء يوم عرفة أفضل من غيره.. وفي الحديث دليل على أنَّ دعاء يوم عرفة مجابٌ كله في الأغلب». (التمهيد: ٦/٤١).

فأروا الله من أنفسكم خير يوم عرفة وعليكم بالدعاء، واجتهدوا فيه فإن حاجة المسلم إلى الدعاء ماسةٌ في أموره كلها وضرورته إليه ملحة في شئونه جميعها، ومَن أقبل على الله بصدق، وألح عليه بالدعاء، وأكثر من سؤاله أجاب الله دعاءه، وحقق رجاءه، وأعطاه سُؤْله، وفتح له أبواب الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فهو سبحانه لا يُخيب عبدًا دعاه، ولا يردُّ مؤمنًا ناجاه، وهذا من لطفه سبحانه بعباده وعظيم إكرامه لهم وإحسانه، فهو القائل سبحانه: «يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا على صعيد واحد، فسألوني فأعطيتُ كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلاَّ كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر». (مسلم: ٢٥٧٧).

وهذا من باب المبالغة في عدم النقص؛ لأن كل واحد يعلم أنك لو أدخلت المخيط وهو الإبرة الكبيرة في البحر ثم أخرجتها فإنها لا تنقص البحر شيئًا ولا تغيره، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَمِينُ الله مَلأى لا يَغِيضُها نفقة سَحَاءُ اللَّيْلَ والنَّهارَ، أرَأَيْتُمْ ما أنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّماءَ والأرْضَ، فإنَّه لَمْ يَغِضْ ما في يَمِينِه». (متفق عليه).

فاجتهدوا- عباد الله- في الدعاء يوم عرفة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افعلوا الخيرَ دهرَكم، وتعرَّضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحاتٍ من رحمته يصيبُ بها من يشاءُ من عباده». (السلسلة الصحيحة: ١٨٩٠).

وتذكروا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «خيرُ الدُّعاءِ يومَ عَرفةَ، وخيرُ ما قلتُ أنا والنَّبيُّونَ من قبلي: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ». (أخرجه الترمذي: ٣٥٨٥). هذه الكلمة الطيبة وهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وأصل الدِّين وأساسه، ورأس أمره؛ لأجلها قامت السماوات والأرض، وخُلقت الخليقة وأُرسلت الرسل، وأُنزل الكتب، إن لهذه الكلمة العظيمة مدلولاً لا بد من فهمه، وغاية لا بد من تحقيقها، قال الله تعالى: «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (الزخرف:٨٦).

أي: إلا من شهد بـ«لا إله إلا الله» وهم يعلمون بقلوبهم معنى ما شهدوا به بألسنتهم؛

إذ إن هذه الكلمة العظيمة تعني إخلاص العبادة كلها لله وعدم الإشراك به، والإقبال على الله وحده لا شريك له خضوعًا وتذللاً وطمعًا ورغبًا، وإنابة وتوكلاً ودعاءً وطلبًا، فصاحب «لا إله إلا الله» لا يصرف شيئًا من العبادة لغير الله.

وأنت أخي الحاج قدوتك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعد أن صلى الظهر والعصر جمعًا وقصرًا أتى الموقف واستقبل القبلة، فلم يزل واقفًا يدعو حتى غربت الشمس، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كُنتُ ردفَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بعَرفاتٍ فرفعَ يديهِ يَدعو فمالَت بِهِ ناقتُهُ فسقطَ خطامُها فتَناولَهُ بيدِهِ وَهوَ رافعٌ اليَدَ الأُخرى. (صحيح سنن النسائي: ٢/٣٤٤)؛ ومع هذا يُرى من الحجيج مَن ينشغل يوم عرفة بأجهزة الاتصال والكلام الذي لا فائدة فيه؛ فيضيع أنفس الأوقات وأثمن اللحظات، فيا له من غبن ليس له نظير!

إنَّ يوم عرفة على صعيد عرفات ذلكم الجمع العظيم الذي يشهده جميعُ الحجاج مشهدٌ تذوب فيه الفوارق، وتُرفع فيه الحواجز، فتتوحد الأجناس، وتتحد الأقطار، فلا ارتفاع لغني ولا انخفاض لفقير في لباسهم يستوون، وتساويهم في اللباس يذكر بتساويهم جميعًا في لباس الأكفان بعد الموت، فإن الكل يُجرَّدون من ملابسهم ويُلفُّون بلفائف بيضاء لا فرق فيها بين غنيٍّ وفقير، والحاج عندما يتجرد من لباسه في الميقات ويلبس ملابس الإحرام يتذكر هذه الحال ويتوارد على ذهنه هذا المآل ويتذكر الموتَ الذي به تنتهي الحياة الدنيوية وتبتدئ الحياة الأخروية، وكم هو عظيم ونافع للعبد أن يتذكر الرحيل من هذه الدار، وأن يتذكر مفارقة الحياة وأنه ليس له من ماله إلا الأكفان، ثم مآلها إلى البلى.

نصيبُك مما تجمعُ الدهرَ كله
رداءان تُلوى فيهما وحنوط.

إن يوم عرفة وفيه الجموع الكثيرة الوافدة من شتى أقطار العالم يُذكِّر المسلم بالموقف الأكبر يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون، قال الله تعالى: «قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» (الواقعة: ٤٩-٥٠).

فلله ذاك الموقف الأعظم الذي
كموقف يوم العرض بل ذاك أعظم

في ذلك اليوم العظيم يجمع الله جميع العباد، قال سبحانه: «لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ» (النساء: ٨٧)، ولن يتخلف عن هذا الجمع أحدٌ، قال سبحانه وتعالى: «وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا» (الكهف: ٤٧).

فالوقوف على صعيد عرفات يذكِّر بيوم الحشر وانشغال كل إنسان بنفسه، والمتأمل في آيات الحج في سورة البقرة يجد أنها خُتِمَت بقول الله سبحانه: «فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» (البقرة: ٢٠٣).

فتذكر أخي الحاج أنك ستحشر إلى الله، وأن الله سبحانه يحاسبك ويجازيك على ما قدَّمت في هذه الحياة، وإذا كان العبدُ على هذا العلم والإيمان واليقين بأنه إلى الله يُحشر، فإن علمه هذا ويقينه يكون عونًا له في صلاح عمله والاستعداد لذلك اليوم، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل؛ قال الله سبحانه: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» (آل عمران: ١٨٥).

جعلنا الله وإياكم من عباده المتقين، وأعاذنا جميعًا من خزي يوم الدين، وجعلنا بمنه وكرمه يوم الفزع من الآمنين، ورزقنا وإياكم حج بيته الحرام، اللهم آمين.

فقه الواقع: أصول وضوابط

إعداد د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

ما يزال الحديث مستمرًا عن: فقه الواقع: أصول وضوابط. وتناولنا في المقالة السابقة كيفية معرفة الواقع، وذلك من خلال أربع مراحل، هي:

- **إدراك الواقع.**
- **وفهم ما أدركه الفقيه من الواقع.**
- **وتطبيق هذا الفهم على المعرفة الشرعية.**
- **ثم إخراج حكمٍ شرعيٍّ لهذا الواقع.**

ولهذا سنتكلم عن النقطة الثانية في الضوابط التي ذكرناها في فقه الواقع، وهي:

- **معرفة الواقع وفقهه وإدراكه.**
- **كيفية الاستفادة من هذه المعرفة.**
- **من يستفيد من هذه المعرفة.**

فالنقطة الثانية هي: كيفية الاستفادة من معرفة الواقع:

فنقول وبالله التوفيق:

قد تكلم أهل العلم سلفًا في هذه النقطة، ووضعوا أصولاً وضوابط لبيانها. منها ما ذكره العلامة الشاطبي في موافقاته قائلاً: "النظر في مآلات الأفعال معتبرٌ ومقصودٌ شرعًا، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، ويحكم المجتهد بمراعاة المآل بأصول منها: أولاً: المصلحة المرسلة. ثانيًا: سدّ الذرائع. ثالثًا: الاستحسان".

ويقول العلامة ابن القيم أيضًا في كتابه "الطرق الحكمية": لا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: الأول: فهم الواقع والتفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات، حتى يحيط به علمًا. الثاني: فهم الواجب في الواقع".

ومن الأمثلة التي أوردها العلاّمة ابن القيم في أعلام الموقعين على هذا ما يلي:

- **توصل شاهد يوسف عليه السلام بشقّ القميص من دُبُر إلى معرفة براءته وصدقه؛ كما في الآية.**
- **وتوصل سليمان عليه السلام إلى معرفة عين الأم بقوله: «ائتوني بالسكين حتى أشق الولد بينكما»(أخرجه البخاري).**
- **وتوصل عليّ رضي الله عنه للخطاب في قصة حاطب رضي الله عنه، عندما قال للمرأة التي حملته لما أنكرته: «لتُخرجن الكتاب أو لنُجَرِّدنك» (أخرجه البخاري).**
- **وتوصل الزبير رضي الله عنه بتعذيب أحد ابن أبي الحقيق بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى دلَّهم على كنز حُيي عندما ظهر كذبه في دعوى ذهابه بالإنفاق بقوله: «المال كثير، والعهد أقرب من ذلك» (أخرجه ابن حبان).**
- **وتوصل النعمان بن بشير رضي الله عنه بضرب المتهمين بالسرقة إلى ظهور المال المسروق عندهم، فإن ظهر وإلا ضُرِبَ مَن اتهمهم كما ضربهم، وأخبر أن هذا حكم**

رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولهذا فمن تأمل الشريعة الغراء وقضايا الصحابة التي قضوا فيها، وجدها كثيرة في ذلك، ومن سلك غير طريقهم هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسب هذا الضياع إلى الشرع، والشرع منه براء.

ولهذا فالحاكم إذا لم يكن فقيه النفس في الأمارات، ودلائل الحال، ومعرفة شواهده في القرائن الحالية والمقالية، كفقهه في كليات الأحكام، أضاع حقوقًا كثيرة على أصحابها، وحكم بما يعلم الناس بطلانه لا يشكون فيه، اعتمادًا منه على نوع ظاهر لم يلتفت إلى باطنه وقرأ منه أحواله.

وقد ذكر ابن القيم في هذا نوعين من الفقه لا بد للحاكم منهما:

الأول: فقه في أحكام الحوادث الكلية.

الثاني: فقه في نفس الوقائع وأحوال الناس، يميز به بين الصادق والكاذب، وبين المحق والمبطل، ثم يطابق بين هذا وهذا، فيعلي حكمه ولا يجعله مخالفًا للواقع.

وبناءً على ما تقدم ذكره فإن معرفة الواقع تنقسم إلى قسمين:

الأول: طرق إدراك الواقع.

الثاني: طرق فهم للواقع بعد إدراكه، كقواعد الأصول والفقه المهيئة للواقع تهييئًا قريبًا للحكم عليه، سواء نزلت الحكم أم لا.

وبهذا يكون معنى كيفية الاستفادة؟

هو: معرفة طرق الفهم الشرعي للواقع بتوسط الإدراك له غالبًا، وطرق تحصيل العلم بثلاث معلومات:

الأول: ما يُعلَم بالعقل.

الثاني: ما يُعلَم بالسمع.

الثالث: ما يُعلَم بالعقل والسمع، وهو ما يُعرَف بـ «الخبر».

أما الجزء الأخير في هذه القضية وهي المعينة بـ: «من المستفيد من فقه الواقع وشروطه» لا بد أن تستلزم ذكر شروط المستفيد من الواقع؛ ليتضح لنا كيفية الاستفادة على أكمل وجه.

ولقد اشترط العلماء في المستفيد شروطًا، وهي:

أولاً: الإسلام والعدالة.

ثانيًا: أن يكون صاحب فقه النفس.

ويعني بذلك شدة الفقه، والفهم بالمدرك؛ لأن ضعيف الإدراك لا يُؤخَذ منه نظر في الوقائع والأمور، وهذا ما يُعرَف بشرط «شدة القريحة».

ثالثًا: علمه بالكتاب والسنة والعلوم المتصلة بهما.

رابعًا: علمه بقواعد الشريعة ومسائل الإجماع.

خامسًا: علمه باللغة العربية وعلومها.

وعلى هذا لا يَنظر في الواقع إلا فقيهٌ؛ تتوفر فيه هذه الشروط التي ذكرناها على سبيل الإجمال، حتى يكون المستفيد على استطاعة تامة بأن يفيد في حكمه على الواقع، ولا يكون حكمه بعيدًا عن الواقع لا طائل من ورائه.

هذا، ونسأل الله جل وعلا أن ينفع بكم وبنا، ويجعلنا من العالمين العاملين بما نعلم جميعًا.

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

واحة

الحج على سنته صلى الله عليه وسلم

عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة وهو على بعيره، وهو يقول: «يا أيها الناس! خذوا عني مناسككم؛ فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا» (سنن النسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٨٨٢).

من نور كتاب الله

تقوى الله خير زاد في الحج

قال تعالى: «ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ »

(البقرة: ١٩٧)

تحذيرٌ نبوي

عن أبي هريرة أن النبيَ صلى الله عليه وسلم قال: «مَن باع جلدَ أُضحيته فلا أُضحيةَ له» (صحيح الترغيب ١٠٨٨).

من فضل الحج

عن عامر بن ربيعة أن رسول الله صلي الله عليه وسم قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

(رواه البخاري ١٧٧٣، ومسلم ١٣٤٩).

فضل الصلاة في المسجد الحرام

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاةٌ في مَسْجِدِي أفضلُ من ألفِ صلاةٍ فيما سِواهُ إلا المسجِدَ الحرامَ، وصلاةٌ في المسْجِدِ الحرامِ أفضلُ من مِائةِ ألفِ صلاةٍ فيما سِواهُ».

(صحيح الجامع ٣٨٣٨).

التوحيد

إعداد : علاء خضر

فضل العمل الصالح في عشر ذي الحجة

عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما العَمَلُ في أيامٍ أفْضَلَ منها في هذِه؟ قالوا: ولا الجِهادُ؟ قالَ: ولا الجِهادُ، إلا رَجُلٌ خَرَجَ يُخاطِرُ بنَفْسِهِ ومالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بشيءٍ».

(رواه البخاري ٩٦٩)

دعاء يوم عرفة

عن عمرو بن شعيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خيرُ الدُّعاءِ دعاءُ يومِ عرفةَ، وخيرُ ما قلتُ أنا والنَّبيُّونَ من قبلي: لا إلَهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ الملكُ ولَهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شَيءٍ قديرٌ» (صحيح الترمذي ٣٥٨٥).

فضل صيام يوم عرفة

عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صِيامُ يومِ عَرَفَةَ، إنِّي أحْتَسِبُ علي اللهِ أنْ يُكَفِّرَ السنَةَ التي قَبلَهُ، والسنَةَ التي بَعدَهُ، وصِيامُ يومِ عاشُوراءَ، إنِّي أحْتَسِبُ على اللهِ أنْ يُكَفِّرَ السنَةَ التِي قَبْلَهُ».

(أخرجه مسلم ١١٦٢).

من سنن العيد

عن أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرُجُ إلى العيدَيْنِ ماشيًا، ويُصَلِّي بغيرِ أذانٍ ولا إقامَةٍ، ثُمَّ يرجعُ ماشِيًا في طريقٍ آخرَ»

(صحيح الجامع ٤٩٣٣).

وقت التكبير وأصحه

قال ابن حجر في الفتح: أخرج البيهقي عن أصحاب ابن مسعود أنه يبدأ تكبير العيد من صبح يوم عرفة إلى آخر أيام منى. وأما صيغة التكبير فأصح ما ورد فيه ما أخرجه عبد الرزاق عن سلمان قال: «كبروا الله: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر كبيرًا»، وقيل: يكبر ثنتين بعدهما «لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد».

(فتح الباري).

أثر السياق في فهم النص

(١١٥)

حجاب المرأة المسلمة

(٢٥)

إعداد: د. متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن حول الحجاب، وانتقلت إلى الأدلة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ووصلت إلى الحديث الحادي والعشرين، وهو حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قَبَرْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا، فلمّا فرَغْنا انصرَف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وانصرَفْنا معه، فلمّا حاذَى بابَه وتوسَّط الطَّريقَ إذا نحنُ بامرأةٍ مُقبلة؛ فلمّا دنَتْ إذا هي فاطمةُ فقال لها رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: ما أخرَجكِ يا فاطمةُ من بيتكِ؟ قالت: أتَيْتُ يا رسولَ اللّه أهلَ هذا البيتِ فعزَّيْنا ميِّتَهم، فقال لها رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: «لعلَّكِ بلَغْتِ معهم الكُدى؟ (أي: المقابر)» قالت: معاذَ اللّه وقد سمعْتُكَ تذكُرُ فيها ما تذكُرُ قال: «لو بلَغْتِ معهم الكُدى ما رأيْتِ الجنَّةَ حتّى يراها أبو أبيكِ» (سنن أبي داود، والنسائي، ومسند أحمد، والحاكم، وغيرهم)، والحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وقد بينت في الحلقة السابقة ضعف الحديث، وأن مداره على ربيعة بن سيف المعافري، وقد تفرد برواية الحديث، وحاله لا يحتمل التفرد. قال الشيخ التويجري-مستدلاً من الحديث-: «ولما لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم عليها تغطية وجهها عن الرجال الأجانب، دلَّ ذلك على أن الاحتجاب كان مشروعًا لهن». (الصارم المشهور ص٩٠).

قلت: الحديث ضعيف كما بيَّنت في الحلقة السابقة. ولو صح فإن الاستدلال على وجوب النقاب أراه بعيدًا، وغاية ما يُستدل به مشروعية النقاب وليس وجوبه، ومشروعية النقاب ليست محلاً للخلاف بين القائلين بوجوبه والقائلين باستحبابه. يقول الشيخ الألباني: أورده -أي: الحديث (الشيخ التويجري) مستدلا به على تستر النساء في زمنه صلى الله عليه وسلم، وليس هذا موضع

خلاف، لو فرض أنه نص في ستر الوجه؛ لأنه مشروع، ولكن لا يدل على الوجوب، هذا لو صح وليس كذلك (انظر الرد المفحم ١٠٨/١).

وذكرت أن متن الحديث فيه نكارة لهذا الوعيد الشديد بعدم دخولها الجنة لو زارت المقابر. وقد لجأ بعض أهل العلم إلى تأويله، كما قال أبو حاتم-ابن حبان – قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة: «لو بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة». يريد ما رأيت الجنة العالية التي يدخلها مَن لم يرتكب ما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه؛ لأن فاطمة علمت النهي قبل ذلك، والجنة هي جنات كثيرة لا جنة واحدة، والمشرك لا يدخل جنة من الجنان أصلاً لا عالية ولا سافلة ولا ما بينهما. (انظر: التعليقات الحسان ١٣٤/٥).

فوائد:

١ - زيارة النساء للمقابر:

اختلفت أقوال أهل العلم في هذه المسألة على أقوال بحسب الأدلة التي وردت، فيرى الجمهور جواز الزيارة، ومن أدلتهم أن عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: كيف أقول يا رسول الله-تعني في زيارة القبور-، قال: «قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون» (رواه مسلم). وهذا كان في أخريات حياة النبي صلى الله عليه وسلم، لما جاءه جبريل عليه السلام، وقال له: «إن الله يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم». ومن أدلتهم حديث أنس رضي الله عنه: مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري..»(رواه البخاري).

والاستدلال من الحديث الأول: أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ماذا تقول عند زيارة القبور، فأجابها النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر لها عدم جواز زيارة المقابر، ولو كان لا يجوز لبيَّن لها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه-كما هو مقرر- لا يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم تأخير البيان عن وقته.

أما الحديث الثاني؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليها زيارتها للقبر، وإنما أمرها بالصبر، واستدل الحافظ ابن حجر بهذا الحديث على جواز زيارة النساء للمقابر، فقال: واختلف في النساء-أي زيارتهن للمقابر- فقيل: دخلن في عموم الإذن، وهو قول الأكثر، ومحله إذا ما أمنت الفتنة، ويؤيده الجواز حديث الباب-المرأة التي تبكي عند القبر-، وموضع الدلالة من أنه صلى الله عليه وسلم لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر، وتقريره حُجَّة. (فتح الباري ١٤٨/٣).

ويؤيد القول بالجواز أن عبد الله بن أبي مليكة سأل أم المؤمنين عائشة: من أين أتيت يا أم المؤمنين؟ قالت: من عند قبر أخي عبدالرحمن. قال لها: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، قد نهى ثم رخص لنا فيها (رواه الحاكم وغيره وصححه ووافقه الذهبي والبوصيري والألباني).

يقول الحافظ ابن حجر: وممن حمل الإذن على عمومه للرجال والنساء عائشة-وذكر الحديث- (انظر فتح الباري ١٤٩/٣).

٢ - اتباع النساء للجنائز:

الجمهور على أن اتباع النساء للجنائز على الكراهة وليس التحريم؛ لحديث أم عطية رضي الله عنها: «نُهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا» (متفق عليه)، وذكر الحافظ ابن حجر رواية عن الثوري بلفظ: نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه ردَّ على مَن قال لا حُجة في هذا الحديث؛ لأنه لم يسمَّ الناهي فيه، لما رواه الشيخان وغيرهما أن كل ما ورد بهذه الصيغة كان مرفوعًا، وهو الأصح عند غيرهما من

المحدثين.. ولم يعزم علينا؛ أي: ولم يؤكد علينا في المنع، كما أكَّد علينا في غيره من المنهيات، فكأنها قالت: كره لنا اتباع الجنائز من غير تحريم، وقال القرطبي: ظاهر سياق أم عطية أن النهي نهي تنزيه، وبه قال جمهور أهل العلم، ومال مالك إلى الجواز.. ثم ذكر حديثًا عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في جنازة فرأى عمر رضي الله عنه امرأة فصاح بها، فقال: دعها يا عمر. الحديث. قال: وأخرجه ابن ماجه والنسائي من هذا الوجه، ومن طريق أخرى. ورجاله ثقات (انظر فتح الباري ٣/١٤٥). وهذا الحديث ضعَّفه الألباني في سنن ابن ماجه ح ١٥٨٧ وغيره.

الحديث الثاني والعشرين:

عن أسامة بن زيد أن أباه قال: كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية (ثياب كانت تُصنَع في مصر، وتُنسب إلى القبط وهم سكان مصر) كثيفة كانت مما أهداها دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لك لم تلبس القبطية؟ قلت: يا رسول الله كسوتها امرأتي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، مُرْهَا فلتجعل تحتها غلالة (ما يلبس تحت الثوب) إني أخاف أن تصف حجم عظامها. (مسند أحمد وغيره، والحديث حسنه الألباني في الثمر المستطاب وغيره ص ٣١٧- ٣١٩)، وقال الأرناؤوط: حديث محتمل للتحسين انظر مسند أحمد حديث ٢١٧٨٦).

وقد استدل الشيخ التويجري من الحديث- عن طريق القياس- على وجوب النقاب. فقال: فأولى من ذلك (يعني ستر حجم عظامها) ستر ظاهر بشرتها عنهم؛ لأنها كلها عورة بالنسبة إلى نظرهم، وسواء في ذلك وجهها وغيره من أعضائها (الصارم المشهور ص ١٠٠).

قلت: والحديث يستدل به على أنه يجب على المرأة أن تلبس ملابس واسعة فضفاضة لا تصف أو تحدد حجم عظامها، وأنه يحرم عليها أن تلبس ملابس خفيفة أو شفافة، تصف أو تحدد حجم جسدها. وقياس وجه المرأة على جسدها أراه قياسًا بعيدًا، فمن المعلوم فطرة وشرعًا أن جسد المرأة يختلف عن وجهها؛ فالمرأة لا تُظهر بدنها إلا لزوجها، حتى محارمها على التأبيد فلا يطّلعون منها إلا ما يظهر منها غالبًا حين عملها في البيت ونحو ذلك. كما قال ابن عباس في تفسيره لآيات سورة النور: «ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن» الآية (النور: ٣٠) قال: كالزينة التي تبديها لهؤلاء من الناس من قرطها وقلادتها وسواريها، فأما خلاخلها ومعضدتها ونحرها وشعرها فإنما لا تبديه إلا لزوجها (انظر: تفسير القرآن لابن أبي حاتم ٨/٢٥٧٦).

الحديث الثالث والعشرين:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والجلوس على الطرقات». فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقَّها. قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر، وكفّ الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر (متفق عليه).

موضع الشاهد: الأمر بغض البصر، ولقد اختلف العلماء في توجيه الأمر بغض البصر. قال الشيخ الألباني بعد أن ذكر قوله تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم....» (النور: ٣٠)؛ فإنها تُشعر بأن في المرأة شيئًا مكشوفًا يمكن النظر إليه، فلذلك أمر الله تعالى بغض النظر عنهن، وما ذلك غير الوجه والكفين، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قلت: هل ما ذكر الشيخ من الأمر بغض البصر-يخص الوجه والكفين أم يشمل غيرهما؟

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

التذكرة بسنن الأضحية

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده؛ نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أما بعد:

فإن الأضحية شعيرة من شعائر الله واجبٌ تعظيمها كما قال تعالى: «ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» (الحج:٣٢)، وسنة من سنن الرسول- صلى الله عليه وسلم- ينبغي الالتزام بها، وإحياؤها بالعمل بها ونشرها.

تعريف الأضحية لغةً: الأضحية في لغة العرب فيها أربع لغات كما نقل الجوهري عن الأصمعي قوله: «وفيها أربع لغات، إِضْحِيَّةٌ. وأُضْحِيَّةٌ، والجمع أضاحي. وضَحِيَّةٌ على فعيلة والجمع ضحايا. وأَضْحَاةٌ والجمع أضحًى كما يقال أرطاةٌ وأرْطى...» (الصحاح للجوهري مادة ضحا ٢٤٠٧/٦).

ويقال ضحى تضحية، إذا ذبح الأضحية وقت الضحى، هذا هو الأصل فيه كما قال أهل اللغة.

الأضحية شرعاً: اسمٌ لما يُذَكَّى من النَّعم تقرباً إلى الله تعالى في أيام النحر بشرائط مخصوصة.

والأضحية مشروعة بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية، وانعقد الإجماع على ذلك.

قال الإمام ابن العربي المالكي في شرح الترمذي: «ليس في فضل الأضحية حديث صحيحٌ، وقد روى الناس فيها عجائب لم تصح». (عارضة الأحوذي ٢٢٨/٦).

والحكمة من مشروعية الأضحية: أنها إحياء لسنة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، حينما رأى في المنام أنه يذبح ولده إسماعيل، وشكر لله سبحانه وتعالى على نعمه المتعددة، ووسيلة للتوسعة على النفس وأهل البيت وإكرام الجيران والأقارب والأصدقاء والتصدق على الفقراء.

والأضحية سنة مؤكدةٌ في حق الموسر، وهذا قول أكثر العلماء.

وشروط الأضحية: أن تكون الأضحية من الأنعام، وأن تبلغ سنّ التضحية، وأن تكون الأضحية سليمة من العيوب المانعة من صحة الأضحية.

سنن ومستحبات الأضحية:

١ - تسمين الأضحية:

ذهب جمهور العلماء إلى استحباب تسمين الأضحية.

فعن أبي هريرة: أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان إذا أراد أن يضحي اشترى كبشين عظيمين سمينين أقرنين أملحين موجوئين فذبح أحدهما عن محمد وآل محمد، والآخر عن أمته من شهد له بالتوحيد والبلاغ)

وروى البخاري في صحيحه تعليقاً: قال يحيى بن سعيد: سمعت أبا أمامة بن سهل قال: كنا نسمن الأضحية بالمدينة وكان المسلمون يسمنون. وقد قال الإمام الشافعي: استكثار

القيمة في الأضحية أفضل من استكثار العدد؛ لأن المقصود هنا اللحم والسمين أكثر وأطيب. (المجموع للنووي ٣٩٦/٨).

٢- أفضل الأضحية لوناً:

قال ابن قدامة: «والأفضل في الأضحية من الغنم في لونها البياض». (المغني ٤٣٩/٩).

والأصل في ذلك ما ورد في حديث أنس- رضي الله عنه-: أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- انكفأ إلى كبشين أقرنين أملحين فذبحهما بيده. رواه البخاري.

قال الحافظ ابن حجر: «الأملح: هو الذي فيه سواد وبياض والبياض أكثر، ويقال هو الأغبر وهو قول الأصمعي. وزاد الخطابي هو الأبيض الذي في خلل صوفه طبقات سود. ويقال الأبيض الخالص قاله ابن الأعرابي، وبه تمسك الشافعية في تفضيل الأبيض في الأضحية» (فتح الباري ١٠٦/١٢).

٣- أفضل وقت لذبح الأضحية:

الأفضل في وقت الأضحية أن تكون بعد انتهاء صلاة العيد والخطبة؛ لأن ذلك هو الثابت من سنته صلى الله عليه وسلم؛ ففي حديث البراء بن عازب-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا، نصلي ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح فإنما هو لحم قدمه لأهله، وليس من النسك في شيء) رواه البخاري ومسلم ووقت الجواز في ذبح الأضحية يبدأ بعد انتهاء صلاة العيد والخطبة وآخر وقت الذبح هو غروب شمس آخر يوم من أيام التشريق، فمدة الذبح أربعة أيام، يوم النحر وثلاثة أيام بعده.

٤- ما يطلب من المضحي عند الذبح وبعده:

أولاً: أن يسوق الأضحية إلى محل الذبح سوقاً جميلاً لا عنيفاً:

فعن محمد بن سيرين قال: «رأى عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها؛ فقال له: ويلك! قدْها إلى الموت قوداً جميلاً» ورواه عبد الرزاق في المصنف ٤٩٣/٤. وذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٦/١.

ثانياً: أن يحدّ السكين قبل ذبح الضحية:

وهو سنة في كل ذبح؛ لأن المطلوب إراحة الحيوان، وهذا من الإحسان كما في حديث شداد بن أوس- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» (رواه مسلم).

ثالثاً: أن لا يحدّ السكين أمام الحيوان الذي يريد ذبحه:

والأصل في ذلك ما ورد عن ابن عباس- رضي الله عنه- أن رجلاً أضجع شاة وهو يحد شفرته فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: (أتريد أن تميتها موتات؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها؟) رواه الحاكم وصححه الشيخ الألباني السلسلة الصحيحة ٣٢/١.

رابعاً: يستحب إضجاع الغنم والبقر في الذبح، لأنه أرفق بها، وتضجع على جانبها الأيسر؛ لأنه أسهل في الذبح، وأخذ السكين باليمين وإمساك رأسها باليسار. وأما الإبل فالسنة أن تنحر قائمةً على ثلاث قوائم معقولة الركبة اليسرى.

والأصل في ذلك ما ثبت عن أنس قال ضحى النبي-صلى الله عليه وسلم- بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما. ولما ثبت في الحديث عن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أمر بكبش...»، الحديث وفيه وأخذ الكبش فأضجعه ثم ذبحه...) رواه مسلم، ويقاس عليه البقر.

وفي الإبل ما ثبت عن زياد بن جبير قال: «رأيت ابن عمر رضي الله عنهما أتى على رجل أناخ بدنته ينحرها. قال: ابعثها قياماً مقيدةً سنة محمد- صلى الله عليه وسلم-» رواه البخاري وعن جابر- رضي الله عنه-: أن النبي- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه كانوا ينحرون البدنة معقولة اليسرى قائمةً على ما بقي من قوائمها. رواه أبو داود.

خامساً: استقبال القبلة عند الذبح:

قال الإمام النووي: «استقبال الذابح القبلة وتوجيه الذبيحة إليها، وهذا مستحب في كل ذبيحة، لكنه في الهدي والأضحية أشد استحباباً؛ لأن الاستقبال في العبادات مستحب وفي بعضها واجب» المجموع ٤٠٨/٨.

فعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- قال: (ذبح النبي- صلى الله عليه وسلم- يوم الذبح كبشين أقرنين أملحين موجوئين، فلما وجههما قال: إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض على ملة إبراهيم حنيفاً، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين، اللهم منك ولك، وعن محمد وأمته، باسم الله والله أكبر ثم ذبح) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٤/٣٤٩. ووجه الدلالة في الحديث قوله (فلما وجههما) أي: نحو القبلة.

سادساً: يستحب الدعاء والتسمية والتكبير عند الذبح:

وثبت ذلك في أكثر من حديث منها حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنه- السابق وفيه.... فلما وجههما قال: إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض على ملة إبراهيم حنيفاً، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين، اللهم منك ولك، وعن محمد وأمته باسم الله والله أكبر ثم ذبح) وفي رواية لحديث أنس- رضي الله عنه- عند مسلم: (قال: ويقول باسم الله والله أكبر).

سابعاً: أن يتولى ذبح الأضحية بنفسه:

يستحب للمضحي أن يتولى ذبح الأضحية بنفسه إن كان يحسن الذبح وإلا شهد ذبحها، والأصل في ذلك ما جاء في حديث أنس-رضي الله عنه - وقد سبق ذكره: أن النبي- صلى الله عليه وسلم- ضحى بكبشين...، ولقد رأيته يذبحهما بيده).

ومع أن ذلك هو السنة إلا أنه يجوز لمن أراد الأضحية أن ينيب غيره في ذبحها.

ثامناً: الأكل من الأضحية:

ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الأكل من الأضحية مندوب. وقال أهل الظاهر: إن الأكل من الأضحية فرض.

قال ابن حزم: «وفرض على كل مضحٍ أن يأكل من أضحيته ولا بد، ولو لقمة فصاعداً».

واستدل الجمهور بما ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال:(... فكلوا وادخروا وتصدقوا) متفق عليه.

وقد حمل الجمهور الأوامر في هذه الأحاديث على الندب؛ لأن الأمر فيها جاء بعد الحظر فيُحمَل على الندب أو الإباحة.

قال الحافظ ابن عبد البر: «وأما قوله:(فكلوا وتصدقوا وادخروا) فكلام خرج بلفظ الأمر، ومعناه الإباحة؛ لأنه أمر ورد بعد نهي، وهكذا شأن كل أمر يرد بعد حظر أنه إباحة لا إيجاب» (الاستذكار ١٥/١٧٣).

وأما ابن حزم فقد استدل بقوله تعالى: (فَكُلُوا مِنْهَا) سورة الحج الآية ٢٨. المحلى ٦/٥٠.

تاسعاً: التصدق من الأضحية:

قال الشافعية والحنابلة والظاهرية يجب التصدق بشيء قلٍ أو كثر من الأضحية المسنونة. واستدلوا على الوجوب بقوله تعالى: «فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ» سورة الحج الآية ٢٨. لأن الأصل في الأمر أنه للوجوب.

قال الماوردي: «إن قوله تعالى في الضحايا: (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا) جار مجرى قوله في الزكاة: (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) فلما كان أكله مباحاً والإيتاء واجباً، كذلك الأكل من الأضحية مباح والإطعام واجب» الحاوي ١٥/١١٧.

وذهب الحنفية والمالكية إلى أن التصدق من الأضحية مندوب وليس بواجب.

وحجتهم ما سبق في مسألة الأكل من الأضحية.

ثالثاً: الهدية من الأضحية:

اتفق أهل العلم على استحباب أن يهدي المضحي من الأضحية، وكثير من العلماء يرون أن يجعل الأضحية أثلاثاً؛ ثلث لأهل البيت، وثلث صدقة، وثلث هدية. ونقل هذا عن ابن مسعود وابن عمر وعطاء وإسحاق وأحمد، وهو أحد قولي الشافعي.

واحتجوا بحديث ابن عباس في صفة أضحية النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «ويطعم أهل بيته الثلث، ويطعم فقراء جيرانه الثلث، ويتصدق على السؤّال بالثلث» رواه الحافظ أبو موسى الأصفهاني في الوظائف، وقال: حديث حسن. وقال الشيخ الألباني لم أقف على سنده لأنظر فيه، وقد حسَّن وما أراه كذلك. (إرواء الغليل ٤/٧٤٤).

نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، والحمد لله رب العالمين.

فتاوى الحج

الفتوى رقم (١٠٧٠١)

س٤: زوجة لا تملك نفقات الحج وزوجها ذو غنى، فهل هو ملزم شرعاً بنفقات حجها؟

ج٤: لا يلزم الزوج شرعاً بنفقات حجها وإن كان غنيًا، وإنما ذلك من باب المعروف، وهي غير ملزمة بالحج لعجزها عن نفقته.

س٧: أنا مواطن مصري ورب أسرة من طفلين وزوجة، وراتبي في مصر لا يكاد يكفي ضرورات الحياة، وليس لي أي دخل آخر، وعملت بإحدى دول الخليج ٤ سنوات، وتوفر لي مبلغ من المال، ووضعته في بنك إسلامي ليدر علي دخلاً يساعد في مواجهة أعباء الحياة المختلفة، بحيث إن الراتب وهذا الدخل يكفيني بصورة معتدلة أنا وأسرتي، فهل أنا مكلف باقتطاع من هذا المبلغ نفقات الحج، وهل أنا مكلف بالحج في ضوء هذه الظروف؟ علما بأنني إذا اقتطعت مبلغ نفقات الحج من حسابي في البنك سوف يؤثر هذا على دخلي الشهري، ويرهقني مادياً.

فبماذا تشيرون علي يا فضيلة الشيخ؟ جزاكم الله عناً كل خير.

ج٧: إذا كانت حالتك كما ذكرت فلست مكلفاً بالحج؛ لعدم الاستطاعة الشرعية، قال الله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» وقال: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» وقال: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ»

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

فدية ترك الواجب

الفتوى رقم (٣٦٥٧)

س١: رجل أدى فريضة الحج وترك عدة واجبات، كمن ترك الإحرام من الميقات وترك المبيت بمزدلفة، فهل يجزئه دم واحد، أو لكل واحد من هذين الواجبين دم؟

ج١: لكل واحد من هذين الواجبين دم يجزئ أضحية، يذبحه ويفرقه في الحرم على الفقراء، ولا يأكل منه، فإن كان لا يستطيع فإنه يصوم عشرة أيام عن ترك الإحرام من الميقات، وعشرة أيام عن ترك المبيت بمزدلفة .

س٤: بالنسبة للدم لمن ترك واجبات الحج، فما هو ذلك الدم، هل هو مثل دم التمتع المذكور في قوله تعالى: «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» الآية، وإذا كان كذلك فهل يجوز إخراج قيمة الدم وإعطائه لشخص مثلاً؟ وإذا جاز ذلك فهل يجوز للشخص الذي تسلم قيمة الدم أن ينفقه على نفسه أو على أهله بدون أن يشتري الهدي ويذبحه؟

ج٤: من ترك واجباً من واجبات الحج والعمرة وجب عليه دم، والدم سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو شاة تجزئ أضحية، يذبح بمكة ويقسم بين فقراء الحرم، ولا يجوز إخراج قيمة الدم نقوداً؛ لأن إخراج النقود يخالف ما أمر الله به.

س٥: هل يجوز لمن وجب عليه الدم أن يؤخره إلى بلده، يعني يؤخر ذبح الدم إلى أن يصل إلى بلده مثلاً؟ ومتى يبدأ جواز ذبح الدم لمن ترك واجباً، ومتى آخر أيام الذبح لهذا الدم؟

ج٥: من وجب عليه الدم لترك واجب وهو لا يستطيعه فإنه يصوم عشرة أيام: ثلاثة في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله. ويبدأ وقت ذبح الدم لترك واجب من أول ترك الواجب، سواء كان قبل أيام العيد أو بعده،

فتاوى الحج

ولا حد لآخره، ولكن تعجيله بعد وجوبه مع الاستطاعة واجب، ولو أخره حتى وصل إلى بلده لم يجزئ ذبحه في بلاده، بل عليه أن يبعث ذلك إلى الحرم ويشتريه من هناك ويذبحه في الحرم ويوزع على فقراء الحرم، ويجوز أن يوكل من يقوم بذلك نيابة عنه من الثقات.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الفتوى رقم (١٩٩٧)

س٣: هل يجوز لمن يدين بدين غير الإسلام أن يأكل من لحم عيد الأضحى؟

ج٣: نعم يجوز لنا أن نطعم الكافر المعاهد والأسير من لحم الأضحية، ويجوز إعطاؤه منها لفقره أو قرابته أو جواره، أو تأليف قلبه؛ لأن النسك إنما هو في ذبحها أو نحرها؛ قرباناً لله، وعبادة له، وأما لحمها فالأفضل أن يأكل ثلثه، ويهدي إلى أقاربه وجيرانه وأصدقائه ثلثه، ويتصدق بثلثه على الفقراء، وإن زاد أو نقص في هذه الأقسام أو اكتفى ببعضها فلا حرج، والأمر في ذلك واسع، ولا يعطى من لحم الأضحية حربياً؛ لأن الواجب كبته وإضعافه، لا مواساته وتقويته بالصدقة، وكذلك الحكم في صدقات التطوع؛ لعموم قوله تعالى: « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أن تصل أمها بالمال وهي مشركة في وقت الهدنة.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

◆

حكم الأضحية

المفتي: عبد المجيد سليم .

ذى القعدة ١٣٦١ هجرية - ديسمبر ١٩٤٢ م

س: لرجل ثلاثة أولاد كان والدهم يضحى كل سنة بكبش عن كل فرد منهم وبعد ارتفاع ثمن اللحوم فهل تحتم الشريعة التضحية بكبش لكل شخص منهم أو يجوز الاكتفاء بكبش واحد؟

ج: اطلعنا على هذا السؤال ونفيد أنه ذهب أبو حنيفة إلى أن الأضحية واجبة على الغنى، والرواية الظاهرة عنه أنه لا يجب على الغنى أن يضحى عن أولاده الفقراء الذين لا مال لهم .

واختلف المشايخ فيما إذا كان الأولاد أغنياء وهم صغار هل يجب على الأب أن يضحى عنهم من مالهم بمعنى أنه يضحى عن كل ولد غنى منهم بأضحية من مال الولد أم لا والأصح المعتمد فى المذهب أنه لا يجب أن يضحى عنهم وعلى هذا لا يجب على الأب أن يضحى عن أولاده سواء أكانوا أغنياء أم فقراء من ماله ولا من مالهم .

وقال أصحاب الإمام الشافعى إن التضحية سنة الكفاية فى حق أهل البيت الواحد فإذا ضحى أحدهم أقيمت هذه السنة فى حق أهل البيت الواحد جميعاً .

وقد روى ابن ماجه والترمذى عن عطاء بن يسار قال سألت أبا أيوب الأنصارى كيف كانت الضحايا فيكم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كان الرجل فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام يضحى بالشاة عنه وعن أهل بيته فيأكلون

فتاوى الحج

ويطعمون حتى تباهى الناس فصار كما نرى) وقد روى هذا الحديث الإمام مالك فى الموطأ عن عبد الله بن طبار أن عطاء بن يسار أخبره أن أبا أيوب الأنصارى أخبره - قال كنا نضحى بالشاة الواحدة يذبحها الرجل عنه وعن أهل بيته ثم تباهى الناس فصارت مباهاة - قال الإمام النووى فى شرح المهذب ص ٣٨٤ من الجزء الثامن ما نصه هذا حديث صحيح .

والصحيح أن هذه الصيغة تقتضى أنه حديث مرفوع انتهى هذا والحق كما قال الشوكانى أن الشاة الواحدة تجزىء عن أهل البيت الواحد . وإن كانوا مائة نفس أو أكثر كما قضت بذلك السنة .

ومن هذا يعلم أنه إذا ضحى والدهم عن نفسه وعن أهل بيته الذين منهم أولاده بشاة فقد أقام السنة .

والله تعالى أعلم

إنابة القادر على الحج بنفسه غيره فى الحج عنه

المفتي: حسن مأمون .

٢٨ شوال ١٣٧٧ هجرية - ١٧ مايو ١٩٥٨ م

س: فى رجل يعمل نجاراً بالرياض وينوى أداء فريضة الحج هذا العام، ويرغب فى تكليف آخر للحج عن والدته وطلب السائل الإفادة عما إذا كان هذا جائز أو الشروط الواجب مراعاتها

ج: إنه إذا كانت والدة السائل لا تزال على قيد الحياة وهى مستطيعة وقادرة على الحج بنفسها ولم تحج الحج المفروض، فإنه لا يجوز لها شرعاً أن تنيب عنها غيرها فى أدائه بل يجب عليها أن تؤديه بنفسها، ولو أحجت عنها غيرها لا يسقط عنها الفرض لاستطاعة الحج وقت الإنابة .

أما إذا كان الحج واجباً عليها لتوافر شروطه ولكنها تعجز عن أدائه بنفسها بعد القدرة عليه لمرض ونحوه فلها أن تنيب عنها غيرها، فإذا أدى النائب الحج سقط الفرض عن المحجوج عنه فى ظاهر الرواية، ويشترط لجواز النيابة عن العاجز فى الحج المفروض دوام العجز إلى الموت لأن الحج فريضة العمر حتى تلزم الإعادة بزوال العذر كما يشترط نية الحج عن الآمر وكون أكثر النفقة وهى ما يحتاج إليه فى الحج من طعام وشراب وثياب إحرام وركوب حسب المتعارف من مال الآمر، والأفضل أن يكون النائب قد أدى أولا حجة الإسلام عن نفسه .

أما حج النفل فإنه يقبل فيه الإنابة ولو مع القدرة وأما إذا كانت والدة السائل قد توفيت قبل أداء فريضة الحج مع استطاعة السبيل إليه فإنه يجوز لابنها أن ينيب من يحج عنها ويرجى أن يجزئها كما ذكر أبو حنيفة، والجواز ثابت بما روى أن رجلاً جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إن أمى ماتت ولم تحج أفأحج عنها قال نعم ويشترط لجواز هذه النيابة أن تكون نفقة المأمور بالحج من مال الآمر المتبرع، وهى ما يحتاج إليه فى الحج من مصاريف السفر براً وبحراً والطعام والشراب وثياب الإحرام والمسكن وأن ينوى النائب الحج عن المتوفى .

والله أعلم

الأمثال في القرآن

«مثل الحياة الدنيا» (الكهف:٤٥)

إعداد **مصطفى البصراتي**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فمع مثل جديد من الأمثال القرآنية، وهو في الآية (٤٥) من سورة الكهف، وهي قوله تعالى: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا» (الكهف:٤٥).

المعنى العام:

هذه الآية ضرب الله تعالى فيها مثل الحياة الدنيا، فالله تعالى كثيرًا ما يضرب الأمثال في كتابه وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم يضرب الأمثال في سنته، وذلك لأن المثل يقرب المعقول فيكون كالمحسوس، وكان كثيرًا من السلف يبكي إذا لم يعلم المثل لقول الله تعالى: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» (العنكبوت:٤٣). فالمثل ينتقل بالإنسان من الشيء المعقول إلى الشيء المحسوس الموجود،

والله تعالى ضرب مثل الحياة الدنيا بماء مطر أنزله من السماء على الأرض فأنبتت الأرض، «فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ» (الكهف:٤٥)، وصار أخضر ثم سرعان ما يبس وذبل وكذلك الدنيا فهي سريعة الزوال والإنسان في هذه الحياة الدنيا في شبابه وفي صحته سرعان ما تنتهي ويصل إلى الأجل، والدنيا كلها سريعة الانقضاء، فعن عَنْ عَبْد الله بن مسعود قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً فَقَالَ مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا. (أخرجه الترمذي، واللفظ له (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد (٣٧٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي).

فهذه هي الدنيا، فالإنسان كالمتنزه الذي

يذهب للنزهة مدة ثم ينصرف، فكذلك الدنيا يمكث الإنسان فيها ما شاء الله ثم يرحل. (شرح تفسير ابن كثير للراجحي).

فأحوال الدنيا تظهر أولاً في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلاً قليلاً، ثم تأخذ في الانحطاط إلى أن تنتهي إلى الهلاك والفناء، ومثل هذا الشيء ليس للعاقل أن يبتهج به. (مفاتيح الغيب للرازي).

معاني المفردات:

«واضرب» يا محمد للناس، «مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (الكهف:٤٥) في زوالها وفنائها وانقضائها، «كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ» (الكهف:٤٥) أي: أنها تشبه حال النبات الذي أنبته الله بماء كثير، أنزله من السماء فاختلط بهذا الماء نبات الأرض بعد أن روى منه وامتلأت به عروقه، فنما وكثر واختلط بسبب الماء نبات الأرض.

فالتفت بعضه ببعض بعد أن كثر واستوى على سوقه.

هذا النبات الجميل الناضر لم يلبث حتى أسرع إليه الفناء بدون بطاء ويشير إلى ذلك الإتيان بفاء العاقبة في قوله سبحانه: «فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ» (الكهف:٤٥) أي: فأصبح متكسرًا متفتتًا من اليبس، تفرقه الرياح وتنسفه وتذهب به وتجيء.

فالمشبه في الآية: الحياة الدنيا في جمالها وزينتها ثم فنائها.

والمشبه به: الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات يكون أخضر مهتزًا ثم يصير هشيمًا تطيره الرياح حتى كأنه لم يكن.

«وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا» (الكهف:٤٥) أي: أنه سبحانه على كل شيء من الأشياء ومن جملتها الإيجاد والإفناء- كامل القدرة يفعل ما يشاء جل شأنه.

قال ابن الجوزي في زاد المسير: «والمقتدر» مُفتعل، من قدرت، قال المفسرون: وكان الله على كل شيء من الإفناء الإبقاء مقتدرًا.

القرآن الكريم

المعنى التفصيلي:

قال العلامة الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ٣٠٣/٧:

«كان أعظم حائل بين المشركين وبين النظر في أدلة الإسلام انهماكهم في الإقبال على الحياة الزائلة ونعيمها، والغرور الذي غرَّ الطغاة أهل الشرك وصرفهم عن إعمال عقولهم في فهم أدلة التوحيد والبعث كما قال تعالى: «وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا» (المزمل:١١)، وقال تعالى: «أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» (القلم:١٤، ١٥)، وكانوا يحسبون هذا العالم غير آيل إلى الفناء، «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ» (الجاثية:٢٤)، وما كان أحدَ الرجلين اللذين تقدمت قصتهما إلا واحدًا من المشركين إذ قال: «وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً» (الكهف:٣٦)، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يضرب لهم مثل الحياة الدنيا التي غرتهم بهجتها.

والحياة الدنيا: تطلق على مدة بقاء الأنواع الحية على الأرض وبقاء الأرض على حالتها، فإطلاق اسم (الحياة الدنيا) على تلك المدة لأنها مدة الحياة الناقصة غير الأبدية لأنها مقدر زوالها، فهي دُنيا.

وتطلق الحياة الدنيا على مدة حياة الأفراد، أي حياة كل أحد، ووصفها بـ(الدنيا)، بمعنى القريبة، أي الحاضرة غير المنتظرة، كنى عن الحضور بالقرب والوصف للاحتراز عن الحياة الآخرة وهي الحياة بعد الموت.

والكاف في قوله: «كماء» في محل الحال من (الحياة) المضاف إليه (مثل) أي: اضرب لهم مثلاً لها حال أنها كماء أنزلناه.

وهذا المثل منطبق على الحياة الدنيا بإطلاقيهما، فهما مرادان منه.

وضمير «لهم» عائد إلى المشركين كما دل عليه تناسق ضمائر الجمع الآتية في قولهم وحشرناهم فلم نغادر منهم- وعرضوا- بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدًا.

واختلاط النبات، وفرته والتفاف بعضه ببعض من قوة الخصب والازدهار-

والباء في قوله: (به) باء السببية، والضمير عائد إلى (ماء). (التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور).

وفي التعبير بقوله: «فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ» (الكهف:٤٥) دون قوله: «فاختلط بنبات الأرض» إشارة إلى كثرة الماء النازل من السماء وإلى أنه السبب الأساسي في ظهور هذا النبات، وفي بلوغه قوته ونضارته.

وقوله: «فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ» (الكهف:٤٥) بيان لما صار إليه هذا النبات من يبوسته وتفتته، بعد اخضراره وشدته وحسنه، و«تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ» (الكهف:٤٥) أي: تفرقه وتنسفه أي فأصبح النبات بعد إخضراره يابسًا متفتتًا، تفرقه الرياح وتنسفه وتذهب به حيث شاءت وكيف شاءات. (التفسير الوسيط للدكتور سيد طنطاوي بتصرف).

ووجه الشبه: المصير من حال حسن إلى حال سيئ.

وهذا تشبيه معقول بمحسوس لأن الحالة المشبهة معقولة إذ لم ير الناس بوادر تقلص بهجة الحياة، وأيضًا شبهت هيئة إقبال نعيم الدنيا في الحياة مع الشباب والجدة وزخرف العيش لأهله، ثم تقلص ذلك وزوال نفعه ثم انقراضه اشتاتًا بهيئة إقبال الغيث منبت الزرع ونشأته عنه ونضارته ووفرته ثم أخذه في الانتقاص وانعدام التمتع به ثم تطايره أشتاتًا في الهواء، تشبيهًا لمركب محسوس بمركب محسوس ووجه الشبه كما علمت.

وجملة «وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا» (الكهف:٤٥)، جملة معترضة في آخر الكلام موقعها التذكير بقدرة الله تعالى على خلق الأشياء وأضدادها وجعل أوائلها مفضية إلى أواخرها، وترتيبه أسباب الفناء على أسباب البقاء وذلك اقتدار عجيب، وقد أفيد ذلك على أكمل وجه العموم الذي في قوله: «على كل شيء»، وهو بذلك العموم أشبه التذييل.

والمقتدر: القوى القدرة. (التحرير والتنوير بتصرف ٧/ ٣٣٠).

فأحوال الدنيا تظهر أولاً في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلاً قليلاً ثم تأخذ في الانحطاط إلى أن تنتهي إلى الهلاك والفناء، ومثل هذا الشيء ليس للعاقل أن يبتهج به. (مفاتيح الغيب للرازي).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المسؤولية تكليف لا تشريف

إعداد **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد.

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وهو الأعلم بما خلق، وبما أودع فيه من فطرة وغريزة، وفجور وتقوى، وهو الأعلم سبحانه بأدواء هذه النفوس وآفاتها، وما تحبه وما تكرهه في كل أطوار حياتها، كذلك فهو الأعلم جل وعلا بما يصلحها وما يفسدها، لذا كان لزامًا لمن أراد أن يورد نفسه موارد السعادة دنيا وآخرة؛ أن يتحرى منهج الصانع سبحانه؛ القيوم القائم على كل نفس بما كسبت. وباتباع منهج الله سبحانه وتعالى لمن أراد تأسيس الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم فسيكون الأساس متينًا، والبناء متماسكًا مستقيمًا، والمجتمع قويًا راقيًا، يكفل للأسرة السعادة في الدنيا، والفلاح في الآخرة.

المسؤولية تكليف لا تشريف

وكلمة تكليف تعني أنها أعباء وواجبات، على المسئول القيام بها نحو رعيته، ولأهمية هذا التكليف شرع الإسلام القيادة والمسؤولية حتى لو كان العدد ثلاثة في السفر، لجمع الكلمة وتنظيم شؤون الأفراد، وتحصيل السلامة حتى ينتهي السفر.

عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِثَلَاثَةٍ يَكُونُونَ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ إِلَّا أَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ» رَوَاهُ أَحْمَدُ).

وَعَنْ أَبِي سَعِيد أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

قال الشوكاني رحمه الله تعالى:

وَفِيهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يُشْرَعُ لِكُلِّ عَدَد بَلَغَ ثَلَاثَةً فَصَاعِدًا أَنْ يُؤَمِّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ السَّلَامَةَ مِنْ الْخِلَاف الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى التَّلَاف، فَمَعَ عَدَم التَّأْمِير يَسْتَبِدُّ كُلّ وَاحِد بِرَأْيِه وَيَفْعَلُ مَا يُطَابِقُ هَوَاهُ فَيَهْلِكُونَ، وَمَعَ التَّأْمِيرِ يَقِلّ الِاخْتِلَافُ وَتَجْتَمِعُ الْكَلِمَةُ، وَإِذَا شُرِّعَ هَذَا لِثَلَاثَة يَكُونُونَ فِي فَلَاة مِنْ الْأَرْض أَوْ يُسَافِرُونَ فَشَرْعِيَّتُهُ لِعَدَد أَكْثَر يَسْكُنُونَ الْقُرَى وَالْأَمْصَارَ وَيَحْتَاجُونَ لِدَفْع التَّظَالُم وَفَصْل التَّخَاصُم أَوْلَى وَأَحْرَى، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ لِقَوْل مَنْ قَالَ: إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ نَصْبُ الْأَئِمَّة وَالْوُلَاة وَالْحُكَّام. نيل الأوطار

(٢٩٤/٨).

خطر المسؤولية:

قد تكون المسئولية مالية، بمعنى أن المسؤول يقوم على إدارة أموال هو مؤتمن عليها، حينها ينبغي أن يراعي في هذا المال ما له وما عليه، فلا يأخذ شيئًا إلا بحله، وأن يؤدي القليل فيه والكثير، لأن الله سائله عن هذا المال. وكم من الناس تقع تحت يده أموال المسلمين العامة، فيستحلها كيف شاء وهو لا يدري أنما يجمع لنفسه نار جهنم، وما أجهله وما أحمقه حينئذ وهو يغره بريقه، ولا يخيفه حريقه.

عن عبيد أبي الوليد قال: سمعت خولة بنت قيس رضي الله عنها. وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه- تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن هذا المال خضرة حلوة، من أصابه بحقه بورك له فيه، ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار». مسند أحمد ط الرسالة (٩٢/٤٥).

ـ عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم» يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ لَنَا عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِنْهُ مخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ، فَهُوَ غُلٌّ، يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَسْوَدُ- قَالَ مُجَالِدٌ: هُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ- كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: « وَأَنَا أَقُولُ ذَلِكَ الْآنَ، مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ، فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَهُ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى «. مسند أحمد ط الرسالة (٢٥٦/٢٩).

فهذا رجل لما عرف خطر المسؤولية المالية وكان قائمًا على بعض أعمال المسلمين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، طلب من النبي عليه الصلاة والسلام أن يقيله من هذه المسؤولية خوفًا من عاقبة التخوض فيه.

ـ وعن بُرَيْدَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ» سنن أبي داود (١٣٤/٣). صحيح.

ـ قَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ فَقَالَ: يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَفْسٌ تُنَجِّيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا». مصنف ابن أبي شيبة (٤١٩/٦).

وقد تكون المسؤولية على أفراد، سواء في أسرة أو مدرسة أو مؤسسة، أو دولة، أو إمارة عامة.

فإذا كانت أسرة فقد جعل الله تعالى جزاء الإهمال في رعاية الأسرة النار والعياذ بالله فقال جل شأنه:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (التحريم: ٦).

وإذا كان غير ذلك فإن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه.

عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى مَالِ زَوْجِهَا، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ». مسلم وغيره.

ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ». صحيح مسلم (١٤٥٧/٣).

ـ عن عبد الرحمن بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:»يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها». مستخرج أبي عوانة.

موقف السلف من مباشرة المسؤولية:

هذا ابن عمر رضي الله عنهما تعرض عليه مسؤولية القضاء، التي يتهافت عليها في هذه الأزمنة من لا يعرفون سوء مغبتها، وخطر فتنتها، فيرفضها رضي الله عنه.

- قال عُثْمَانَ رضي الله عنه لابْنِ عُمَرَ: اقْضِ بَيْنَ النَّاسِ. فَقَالَ: لا أَقْضِي بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَلا أَؤُمُّ رَجُلَيْنِ، أَمَا سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: « مَنْ عَاذَ بِاللَّهِ فَقَدْ عَاذَ بِمَعَاذٍ؟ » قَالَ عُثْمَانُ: بَلَى. قَالَ: فَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَسْتَعْمِلَنِي. فَأَعْفَاهُ، وَقَالَ: لَا تُخْبِرْ بِهَذَا أَحَدًا». مسند أحمد ط الرسالة (١/٥١٥).

وقد عزف كثير من الأئمة عن تولي القضاء، بل وقبَل بعضهم بالضرب والسجن على توليه، وهرب بعضهم من بلده من أجل أن لا يتولى القضاء لأسباب كثيرة منها:

١- أنه يرى نفسه ليس أهلاً للقضاء، فالمعروف عن القضاء أنه يحتاج لسعة بال، وذكاء، وفطنة، وقد يرى الإمام العازف عن القضاء نفسه غير محقق لذلك.

قال الشيخ علاء الدين الطرابلسي – رحمه الله-:

قال بعض الأئمة: وشعار المتقين « البعد عن هذا والهرب منه »، وقد ركب جماعة ممن يقتدى بهم من الأئمة المشاق في التباعد عن هذا وصبروا على الأذى.

وانظر إلى قضية أبي حنيفة- رحمه الله تعالى- في الامتناع منه وصبره على الإيذاء حتى تخلص، وكذا غيره من الأئمة.

وقد هرب أبو قلابة إلى مصر لما طلب للقضاء فلقيه أيوب فأشار إليه بالترغيب فيه، وقال له: لو ثبتَّ لنلتَ أجراً عظيماً، فقال له أبو قلابة: الغريق في البحر إلى متى يسبح؟!.

وكلام أبي قلابة هذا إنما هو في حق من علم في نفسه الضعف، وعدم الاستقلال بما يجب عليه، وكذلك من يرى نفسه أهلا للقضاء والناس لا يرونه أهلا لذلك.

وقد قال بعض العلماء: لا خير فيمن يرى نفسه أهلا لشيء لا يراه الناس أهلا لذلك.

والمراد بالناس: العلماء، فهربُ مَن كان بهذه الصفة عن القضاء واجب، وطلبه سلامة نفسه أمر لازم.

« معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام » لأبي الحسن الطرابلسي الحنفي ت:٨٤٤ (ص ٩).

٢- أنه يرى أنه غير واجب عليه، ولا مستحب.. وأنه يرى فيه خطراً إذا حكم بخلاف الحق، فيخشى العالم على نفسه من تولي القضاء من أجل ذلك.

قال ابن قدامة – رحمه الله-: «وفيه- أي: القضاء- خطر عظيم، ووزر كبير، لمن لم يؤدِّ الحق فيه، ولذلك كان السلف رحمة الله عليهم يمتنعون منه أشد الامتناع، ويخشون على أنفسهم خطره».» المغني « (١١/٣٧٦).

وفي « الموسوعة الفقهية » (٣٣/٢٨٩، ٢٩٠):

«كان كثير من السلف الصالح يحجم عن تولِّي القضاء ويمتنع عنه أشد الامتناع حتى لو أوذي في نفسه؛ وذلك خشيةً من عظيم خطره، كما تدلّ عليه الأحاديث الكثيرة والتي ورد فيها الوعيد والتخويف لمن تولى القضاء ولم يؤدِّ الحق فيه، كحديث: (إن الله مع القاضي ما لم يجر، فإذا جار تخلى عنه ولزمه الشيطان) - (رواه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني) -، وحديث: (من ولِي القضاء أو جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكّين) – (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني)-، وحديث: (القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة، رجل قضى بغير الحقّ فعلم ذاك فذاك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحقّ فذلك في الجنة) – (أخرجه الترمذي (٣/٦٠٤) والحاكم (٩٠٤) من حديث بريدة، واللفظ للترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي). انتهى.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٣٠)

قصة الشاب الذي سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن صيامه الأيام العشر

إعداد **علي حشيش**

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: المتن:

رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ شابًّا كان صاحبَ سماعٍ، وكان إذا أهلَّ هلالُ ذي الحجَّةِ أصبحَ صائمًا فأرسل إليه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: ما يحملُك على صيامِ هذه الأيَـامِ؟ قال: بأبي وأمِّي يا رسولَ اللهِ إنَّها أيَامُ المشاعرِ، وأيَامُ الحجِّ، عسى اللهُ عزَّ وجلَّ أن يشركني في دعائِهم. فقال: لك بكلِّ يومٍ تصومُ عدلُ مائةِ رقبةٍ تعتقُها، ومائةُ بدنةٍ تهديها إلى بيتِ الله، ومائةُ فرسٍ تُحمَلُ عليها في سبيلِ الله، فإذا كان يومُ التَّرويةِ فذلك عدلُ ألفِ رقبةٍ، وألفُ بدنةٍ، وألفُ فرسٍ تُحملُ عليها في سبيلِ الله، فإذا كان يومُ عرفةَ فذلك عدلُ ألفَيْ رقبةٍ، وألفَيْ بدنةٍ، وألفَيْ فرسٍ تُحملُ عليها في سبيلِ اللهِ، وصيامُ سنتَيْن قبلَها وسنتَيْن بعدَها.

فائدة: من غريب ألفاظ هذا الحديث والذي تستبين منه نكارة متن هذه القصة «أن شابًا كان صاحب سماع». قال ابن منظور في «لسان العرب» (١٦٥/٨): «(السماع): الغناءُ، والمُسمعة: المُغنية». اهـ.

ثانيا: التخريج:

١-هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٥هـ في كتابه «الكامل» (١٤٢/٦) (١٦٤٢/٢٢) قال: وحدثنا أحمد بن حفص السعدي، حدثنا إسحاق بن وهب الواسطي، ويوسف بن زكريا قالا: حدثنا منصور بن مهاجر، حدثنا محمد المحرم، عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة: «أن شابًا كان صاحب سماع...» القصة.

٢- وأخرجه الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي المتوفى سنة ٥٩٧هـ في كتابه «الموضوعات» (١٩٧/٢) باب «صوم عشر ذي الحجة» قال: أنبأنا أبو منصور محمد بن عبد الملك، أنبأنا إسماعيل بن مسعدة، أنبأنا حمزة بن يوسف، حدثنا ابن عدي به.

٣- وأخرجه أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣هـ في كتابه «تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين» (ح٤٦٨).

ثالثا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية علته محمد المحرم.

١-قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٥٩٠/٧٧٣٤): «محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي المكي، ويقال له محمد المحرم روى عن عطاء، وابن أبي مليكة، وعنه النفيلي، وداود بن عمرو الضبي، وعدة، ضعَّفه ابن معين، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك».

٢- نقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥/٢٤٥) (٧٥٦/٧٥٤١): ما ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» وأقره ثم قال: قال النسائي في التمييز: «ليس بثقة، ولا يُكتب حديثه». وقال الدارقطني: «متروك»، وقال ابن عمار: «ضعيف».

وقال أبو داود: «ليس بثقة»، وعن ابن مهدي قال: «كان له هيئة وسمت، فقال رجل: لا ينظر إلى هيئته وسمته فإنه من أكذب الناس، ثم قام إليه فقال له: كيف حدثت أن النبي صلى الله عليه وسلم باع مصحفًا؟ فقال: حدثني عطاء عن ابن عباس بذلك، وهذا باطل يدل على أنه كان يتلقن فيتوهم».

ثم قال الحافظ ابن حجر: «وفرق ابن عدي بين محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير، ومحمد المكي المحرم، وهو واحد».

٣- ونقل هذه القصة الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٦٦٩/٨٠٠٣) عن ابن عدي بسنده من حديث محمد المحرم عن عطاء عن عائشة مرفوعًا.

ثم قال الإمام الذهبي: «هذا كأنه موضوع».

٤- ولقد نقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥/٣٦١) (٧٨٣٩/١٠٥٤) ما ذكره الإمام الذهبي وقوله: «هذا كأنه موضوع». اهـ. فعقب عليه الحافظ ابن حجر فقال: «وإن لم يكن موضوعًا، فما في الدنيا حديث موضوع».

ثم قال: «ومحمد المحرم هذا هو ابن عبيد بن عمير». اهـ.

٥- فائدة: مما أوردناه آنفًا يتبين أن الحافظ أبا الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني المتوفى في أواخر شهر ذي الحجة ٨٥٢هـ كرر مرتين في كتابه «اللسان»: «أن محمد المكي المحرم هو محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير»، حيث إن ابن عدي في كتابه «الكامل» جعلهما اثنين وهما واحد.

ولذلك قال الحافظ ابن حجر: «وفرق ابن عدي بين: محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير، ومحمد المكي المحرم، وهو واحد». اهـ.

قلتُ: ويحسب من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن هذا الأمر هيِّن، ولكنه فن عظيم زلت بسببه أقدام، وضلت أفهام، لذلك صنف فيه الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ كتابه العظيم «موضوع أوهام الجمع والتفريق».

قلتُ: الجمع «عدا الاثنين فأكثر واحدًا»، والتفريق: «عد الواحد اثنين فأكثر».

وبالتطبيق على بحثنا هذا:

أ-نجد أن الإمام الحافظ ابن عدي: عدَّ الواحد اثنين.

ب- فردَّ عليه الحافظ ابن حجر هذا التفريق فقال: «وفرَّق ابن عدي بين محمد بن عبدالله بن عبيد بن عمير، ومحمد المكي المحرم، وهو واحد». اهـ.

جـ- قلتُ: وما بيَّنه الحافظ ابن حجر في رد هذا التفريق هو الصحيح؛ حيث بين ذلك الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه: «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١/٣٧) ط. دار الباز بمكة- «الوهم الثامن»، فذكر من وقع من الأئمة في هذا الوهم وخرَّجه

من كتبهم، ثم قال: «ومحمد المحرم، هو: محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير، وليس بغيره، وكذلك ذكره عبد الرحمن بن مهدي». اهـ.

٦- قال الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي في كتابه: «الضعفاء والمتروكين» (٥٢٢): «محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير: متروك الحديث، مكي». اهـ.

قلتُ: وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه، حيث بيَّنه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣) فقال: «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٧- قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣). ط المكتبة العلمية بالمدينة المنورة: «الذهبي هو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال». اهـ.

قلتُ: ولذلك نجده رد أوهام التفريق حول علة هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة فقال في «الميزان» (٣/٥٩٠/٧٧٣٤): «محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي المكي ويقال له محمد المحرم روى عن عطاء». اهـ.

ثم نقل الإمام الذهبي أن النسائي قال: «متروك».

وأنَّ البخاري قال: «منكر الحديث». اهـ.

قلتُ: وبالرجوع إلى الأصول التي نقل منها الإمام الذهبي نجد:

أ- الإمام النسائي قال في «الضعفاء والمتروكين»: «محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير: متروك الحديث مكي». اهـ كما بينا آنفًا.

ب- الإمام البخاري قال في «التاريخ الكبير» (١/١/٢٤٨): «محمد المحرم عن عطاء، منكر الحديث». اهـ.

قلتُ: مما أوردناه آنفًا: نجد أن الإمام الذهبي في نقل قول الإمام البخاري وقول الإمام النسائي في الترجمة، وبالرجوع إلى الأصول نجد أن: الإمام النسائي قال ذلك في «محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير المكي».

والإمام البخاري قال ذلك في «محمد المحرم».

إذن لا تفريق وهو واحد. وهذا ما ذكر الإمام الذهبي في «الميزان»، وأقرَّ وبينه الحافظ ابن حجر في «اللسان».

٨- وقول الإمام البخاري في محمد المحرم: «منكر الحديث» مصطلح له معناه، وهذا ما بينه الإمام الذهبي في كتابه «الموقظة» (ص٤٨) فقال: «ثم أهم من ذلك: أن نعلم بالاستقراء التام عُرف ذلك الإمام الجهبذ واصطلاحه ومقاصده بعباراته الكثيرة.

فقول البخاري: «سكتوا عنه»، فظاهرها أنهم ما تعرضوا له بجرح ولا تعديل، وعلمنا مقصده بالاستقراء: أنها بمعنى: تركوه». اهـ.

قلتُ: إذا كان هذا مقصده في اصطلاحه «سكتوا عنه» فكيف بمقصده في اصطلاحه «منكر الحديث» لقد بيَّن الإمام الذهبي مقصده من هذا الاصطلاح حيث ذكر في كتابه «الميزان» (١/٦): «نقل ابن القطان أنَّ البخاري قال: كل من قلت فيه: منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

قلتُ: ونقل هذا الاصطلاح الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩) وقال: «وكذلك قول البخاري: «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين». واستدل على قوله هذا بما ذكره الإمام الذهبي في «الميزان».

٩- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٥٧): «محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي: من أهل مكة يروي عن عطاء كان ممن يقلب الأسانيد من حيث لا يفهم من سوء حفظه، فلما فحش ذلك منه استحق مجانبته». اهـ.

قلتُ: وختم الإمام الذهبي ترجمة محمد المحرم فقال: «كان يُحْرِم السنة كلها وإذا انصرف إلى أهله لبَّى بالحج».

رابعًا: الاستنتاج:

نستنتج من أقوال أئمة الجرح والتعديل:

١- أن علة هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة «قصة الشاب الذي سأله النبي عن صيام الأيام العشر»، هو محمد بن عبدالله بن عبيد بن عمير الليثي المكي ويقال له محمد المحرم، منكر الحديث لا تحل الرواية عنه، متروك الحديث، ليس بثقة، من أكذب الناس، كان يتلقن فيتوهم وكان يقلب الأسانيد، من حيث لا يفهم، وساء حفظه وكثر خطؤه وفَحُش؛ فاستحق الترك.

٢- من أجل ذلك قال الإمام الذهبي عن حديث محمد بن المحرم الذي جاء بهذه القصة: «كأنه موضوع». اهـ.

وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال: «وإن لم يكن موضوعًا، فما في الدنيا حديث موضوع». اهـ.

٣- والموضوع كما بينه الحافظ السيوطي في «تدريب الراوي» النوع (٢١) قال: «الموضوع: هو الكذب المختلَق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

٤- لذلك أخرج هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٩٨/٢) وقال: «هذا حديث لا يصح، ومحمد المحرم كان أكذب الناس قال يحيى: ليس بشيء». اهـ.

٥- وأورد الخبر الذي جاءت به هذه القصة الحافظ السيوطي: في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١٠٧/٢) وأقر ما قاله ابن الجوزي: «لا يصح محمد المحرم كذاب». اهـ.

٦- وأورده ابن عراق في كتابه «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (١٤٨/٢) كتاب «الصيام» الفصل «الأول» (ح١٣).

قلتُ: وذكر هذا الخبر في الفصل الأول له اصطلاحه تبعًا لمنهج ابن عراق في «تنزيه الشريعة»، حيث قال: «وجعلت كل ترجمة غير كتاب المناقب في ثلاثة فصول: الأول: «فيما حكم ابن الجوزي بوضعه ولم يخالف فيه». والثاني: «فيما حكم بوضعه وتعقب فيه». والثالث: فيما زاد السيوطي على ابن الجوزي».

قلتُ: من هذا المنهج يتبين أن ذكر خبر القصة في الفصل الأول هو مما حكم ابن الجوزي بوضعه ولم يخالف فيه»، ثم نقل حكم الإمام الذهبي والحافظ ابن حجر الذي بيناه آنفًا.

خامسًا: خبر آخر لمحمد المحرم عن صيام الأيام العشر:

أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٩٤٢- الغرائب الملتقطة) قال: أخبرنا أبو ثابت بجير بن منصور بن علي، عن جعفر بن محمد بن الحسين الأبهري عن إبراهيم بن محمد بن أبي حماد، عن أبي أحمد بن محمد بن شاكر الزنجاني، عن الحسن بن علي الحلواني، عن منصور بن المهاجر، عن محمد بن عبيد المحرم، عن عطاء، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صيام أول يوم من العشر يعدل مائة سنة، واليوم الثاني يعدل مائتي سنة، فإذا كان يوم التروية يعدل ألف سنة، وصيام يوم عرفة يعدل ألفي عام». اهـ.

قلتُ: هذا السند بنفس الطريق الذي جاء به خبر القصة من طريق: منصور بن مهاجر، عن محمد بن المحرم، عن عطاء، عن عائشة مرفوعًا، فالحديث كذب موضوع علته محمد بن المحرم، وقد بينا حاله بالتفصيل آنفًا.

سادسًا: بدائل صحيحة في الأيام العشر:

أخرج أحمد في «مسنده» (٢٢٤/١)، والبخاري في «صحيحه» (ح٩٦٩)، وأبو داود في «السنن» (ح٢٤٣٨)، والترمذي في «السنن» (ح٧٥٧)، وابن ماجه في «السنن» (ح١٧٢٧) من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام- يعني أيام العشر- قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٥٨)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

صفة (الكلام) بحق الله تعالى في معتقد الأشاعرة.. بالمقارنة بما عليه معتقد أهل السنة والجماعة

إعداد **أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي**
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد: فيطلق لفظ (الكلام) في لغة العرب على: (الأصوات المتتابعة المكونة من حروف ومقاطع تدل على معنى) ويسمى (الكلام اللفظي).. وقد يطلق تجوزاً على: (المعنى القائم بالنفس الذي يعبر عنه بالألفاظ) ويسمى (الكلام النفسي).. والكلام بقسميه بالنسبة للبشر أمر واقع ومشاهد، فبه التخاطب والتفاهم، والمرء يُحسُّ المعاني تجول في نفسه فيعبِّر عنها بالألفاظ، وقد يعبر عن الألفاظ بالكتابة فيستطيع غيره أن يتعرف على ما بداخله.

١-تصور ومعتقد الأشاعرة في صفة (كلام الله تعالى):

أما بالنسبة للباري جل وعلا، فإن المتأمل في معتقد الأشاعرة، يلاحظ: أنهم يثبتون لله المعنى الثاني دون الأول، وأن إثباتهم (الكلام النفسي) له سبحانه هو من خصائص مذهبهم، إذ لم يقل بهذا القول إلا الأشعرية، وقد أخذوه عن الكُلاَّبيَّة الذين رأوا أن الكلام معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم (الحياة) و(العلم) وأنه لا يُسْمعُ على الحقيقة، وأن الحروف والأصوات عبارة عنه، دالة عليه، وهي حادثة؛ ومن ثم فهي مخلوقة منفصلة عن الرب لا تقوم بذاته كونه تعالى ليس محلاً للحوادث؛ وتلك هي المسائل التي يختص أن يكون الرجل بها أشعريًا.

فـ(كلام الله) لدى الأشاعرة -وقد نسبوه بصوابه وخطئه إلى أهل السنة- هو على حد قول الشيخ حسين محمد المصري في (شرح جوهرة التوحيد) المقرر على أبنائنا بالأزهر: "صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت، منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء، ومنزهة عن السكوت النفسي، بأن لا يدبُر في نفسه كلامًا، سواء أكان قادرًا على أن يدبر الكلام أم غير قادر لآفة باطنية تقابل الخرس الظاهري.. والقرآن الكريم يطلق ويراد به اللفظ المقروء، وقد يراد به كلام الله بمعنى الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى.. واللفظي: من خلق الله -بمعنى أنه خلقه- وليس لأحد في أصل تركيبه كسب".

واستطرد يقول: "والناظر في أقوال أهل السنة والمعتزلة يجد اتفاقاً على أن الألفاظ المتلوة مخلوقة لله فهي حادثة، وإن كان أهل السنة لا يجيزون التصريح بذلك إلا في مقام التعليم.. فليس بين الفريقين خلاف حقيقي في الحكم على الكلام اللفظي، وانما الخلاف على الكلام النفسي، والصحيح الذي تؤيده النصوص وتطمئن إليه القلوب هو رأي أهل السنة، وهو أن القرآن بمعنى كلام الله صفة قديمة، والقرآن بمعنى اللفظ المتلو مخلوق له سبحانه".

ومجمل عبارة البيجوري في (شرح جوهرة التوحيد) ص٧٩ أن: "كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى، وعلى الكلام اللفظي بمعنى أنه خلقه.. ومع كون اللفظ الذي نقرأه حادثاً لا يجوز أن يقال: القرآن حادث إلا في مقام التعليم.. ويصح أن يدل الكلام اللفظي على النفسي دلالة عقلية التزامية بحسب العرف، وقد أضيف له تعالى كلام لفظي كالقرآن، فإنه كلام الله، بمعنى: أنه خلقه في اللوح المحفوظ، فدل التزاماً على أن له تعالى كلامًا نفسيًا، وهذا هو المراد بقولهم: القرآن حادث ومدلوله قديم"إ.هـ.

وكل هذا يَردُ عليه: إجماع أهل السنة على أن عبارات: (لفظ القرآن من خلق الله)، (الألفاظ المتلوة مخلوقة لله فهي حادثة)، (مخلوقة له سبحانه)، (خلقه في اللوح المحفوظ)، (القرآن حادث)؛ من البدع المنكرة.. وعدم تفريقهم بين ما إذا قيل ذلك في مقام التعليم أو غيره.

ولأجل أن الأشاعرة لم يُثبتوا لله من الكلام سوى (النفسي) منه أو (المعنى القائم بالنفس)، لم يدرجوا هذه الصفة ضمن (صفات الأفعال)، ولأجله كذلك لم يَعُدُّوا القرآن كلام الله؛ بل هو عبارة عن المعنى النفسي القائم به، وأحالوا عليه تعالى الكلام اللفظي لمشابهته - باعتقادهم - بالحوادث، ونزهوا كلامه تعالى عن الحرف والصوت بحجة أن كلامه ليس ألفاظاً، إذ الألفاظ لا بد فيها من الترتيب فلا يُنطق بالحرف الثاني إلا إذا انقضى الحرف الأول وهكذا، ولا بد فيها من الإعراب والبناء ليُفهم المقصود، كما لا بد فيها من السكوت بين بعض الكلمات وبعضها، وكل ذلك منفي عن (الكلام النفسي).. وفي ذلك يقول البيجوري -في شرح ما نظمه اللقاني قائلاً:

(ونزه القرآن أي كلامه × عن الحدوث واحذر انتقامه)
(فكل نص للحدوث دلا × احمل على اللفظ الذي قد دلا)-:

"أي: واعتقد أيها المكلف؛ تنزه القرآن-بمعنى كلامه تعالى- عن الحدوث، خلافاً للمعتزلة القائلين بحدوث الكلام زعماً منهم أن من لوازمه: الحروف والأصوات وذلك مستحيل عليه تعالى، فكلام الله عندهم مخلوق؛ خلقه الله في بعض الأجرام، ومذهب أهل السنة -يقصد الأشاعرة- أن القرآن -بمعنى الكلام النفسي- ليس بمخلوق، وأما القرآن -بمعنى اللفظ الذي نقرؤه- فهو مخلوق، لكن يمتنع أن يقال ذلك إلا في مقام التعليم".

كذا بما يعني: إحالة أن يكون كلام الله بالحرف والصوت بدعوى حدوثهما، ولا حتى باللفظ بدعوى حدوثه هو الآخر؛ وادعاء أن أهل السنة على التفرقة بين كلام الله وقرآنه؛ وأن القرآن عندهم هو الكلام النفسي، وأن المنزل هو المعنى؛ وقد "عبّر عنه جبريل بألفاظ من عنده، وقيل: عبر عنه النبي بألفاظ من عنده" وتلك عبارة البيجوري ص١٠٤.

وهو وإن ساقها بحق النبي عليه السلام بطريق التمريض إلا أن المؤدى واحد، وهو: القول بالتفرقة بين كلام الله النفسي المنزه عن الحدوث وعن الحرف والصوت، وبين قرآنه المنزل بهما وباللفظ والمعنى، إذ الأخير منهما عندهم وعلى حد قوله، "خلقه الله أولاً في اللوح المحفوظ، ثم أنزله في صحائف إلى سماء الدنيا.. ثم أنزله على النبي مفرقاً بحسب الوقائع.. وأن كلَّ ظاهر من الكتاب والسنة دل على حدوث القرآن، هو محمول على اللفظ المقروء لا على الكلام النفسي، لكن يمتنع أن يقال القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم".

لقد جاؤوا شيئاً إدًا، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا.. إذ لا يعني ما ذكره أولئك المُنَظِّرون واعتقدوه واعترفوا به، سوى اتفاق الأشاعرة والمعتزلة في نفي أن يكون

الله متكلماً بمشيئة، وأن القرآن المنزل -وهو عبارة عنه- مخلوق، وأن الكلام اللفظي محال عليه تعالى لحدوث ذلك بزعمهم، وأن الخلاف فيما بينهما هو في إثبات الكلام النفسي أو نفيه، فلو اعترف المعتزلة به لانتهى الخلاف.

٢-الأشاعرة قلدوا المعتزلة ولم يستوعبوا كلام أهل السنة:

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن صواب أهل السنة في (صفة الكلام) لم يكن متصوراً لدى اللقاني والبيجوري وسائر الأشاعرة، كونهم: نفوا أن يكون كلام الله منزلاً وباللفظ والحرف.. واستشهدوا بما وقع للبخاري وعيسى بن دينار والشعبي وأحمد بسبب فتنة خلق القرآن، مع أن ما حل بهؤلاء وما قالوه وثبتوا عليه، إنما هو حجة على الأشاعرة لا لهم.. فبينا الأمر بحق من ذكر الأشاعرة أسماءهم، على: أن القرآن كلام الله أنزله بالحرف واللفظ بكيفية لا نعلمها، نفى الأشاعرة أن يكون القرآن كلام الله وقالوا: (إنما هو عبارة عنه وليس بلفظ ولا بحرف ولا بصوت ولا منزل من الله، لكون هذه الأشياء حادثة وكلام الله يتنزه عنها)، واستلزم قولهم بذلك أن يكون مخلوقاً وإن خافوا التصريح بذلك، بل وأن يتناقضوا مع أنفسهم.

ومما يدرِّسونه على أبنائنا بالأزهر للأسف: أن "القرآن له دلالتان، دلالة عقلية التزامية تدل على الكلام النفسي القديم، ودلالة وضعية لفظية تدل على الذي يقرأه البشر؛ والكلام النفسي قديم يتعلق بالواجب والجائز والمستحيل، أما اللفظي فحادث مخلوق لله".. وأن "الألفاظ المنزلة الدالة على المعني خلقها الله في اللوح المحفوظ، ثم أنزلها في صحائف إلى سماء الدنيا في بيت العزة، ثم أنزله على النبي مفرقاً بحسب الوقائع"إ.هـ من عبارة حسين المصري في (توضيح التوحيد من تحفة المريد).. وقد مرت بنا عبارة البيجوري.

وعبارة حسن السيد متولي نصها: أن "القرآن: كلام الله اللفظي.. حادث، لكن لا يصح وصفه بالحدوث دفعاً للإيهام، إلا في مقام التعليم".. قال: "وما ورد مما يشعر بأن القرآن مخلوق وحادث مثل: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) (القدر: ١)، (إنا نحن نزلنا الذكر) (الحجر: ٩)، يجب حمله على الكلام اللفظي المقروء المتلو لا على النفسي القائم بذاته تعالى".

كذا بما يعني صراحة أن القرآن الذي نقرأه ونتلوه ونكتبه في المصاحف والمنزل من عند الله: هو لدى الأشاعرة مخلوق، وليس هو عين كلام الله، وإنما هو كلام جبريل أو محمد عليهما السلام، وأن حروف القرآن مخلوقة خلقها الله ولم يتكلم بها وليست من كلامه، ذلك أن كلامه تعالى -بنظرهم- يطلق على الكلام النفسي القائم بذاته ومستحيلٌ نزوله، ولا يكون إلا قديماً كبقية صفات المعاني السبع، ولكن يُعبر عنه بالكلام الحسي، وأن إطلاق (اللفظي) على كلام الله إنما هو على سبيل التجوز، ولا يلزم من أدلة وإجماع على أن كلامه تعالى قديم: أن يكون مُنَزَّلاً، بلَ يدلان على نزول عباراته عن ذلك القديم.

فهل مثل هذا يصح تدريسه على أبنائنا وبناتنا على أنه عقيدة أهل السنة والجماعة؟!، وهل ثمة كبير فرق بين هذا وما عليه الجهمية والمعتزلة إذ المؤدى في النهاية واحد؟!.

وحجة الأشاعرة في ذلك هي: أن الكلام القائم بالذات إما أن يكون حسيًّا أو نفسيًّا، والحسي لا ينبغي أن يقوم بذاته سبحانه لأنه منتظم من حروف لها أول وآخر، بعضها يسبق بعضاً ويدخلها التعاقب والتأليف، وهذه تقوم بالحادث والله منزه عن أن يقوم به حادث، فتعين أن يكون هو: الكلام النفسي الذي يقوم بالذات من معاني قديمة لا يدخلها التجزؤ والانتظام كالحسي.

وقد أداهم ذلك لأن يحملوا أمثال ما رواه البخاري من حديث: (يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يَسمعه مَن بَعُد كما يسمعه من قرُب: أنا الملك أنا الديَّان) على تأويل "أن يكون الصوت: للسماء، أو للمَلَك الآتي بالوحي، أو لأجنحة الملائكة، أو أن الراوي أراد: (فيناديهم نداء) فعبر عنه بالصوت، وهذا حاصل كلام من ينفي الصوت، ويلزم منه أن الله لم يُسمع أحداً من ملائكته ورسله كلامه، بل ألهمهم إياه، وحاصل احتجاجهم لنفي الصوت: الرجوع إلى

القياس على أصوات المخلوقين، لأنها التي عُهد أنها ذات جوارح" كذا في الفتح ١٣/٤٦٦.

إذاً، فعامة الأشاعرة على أن القرآن ليس هو كلام الله، بل هو عبارة عن المعنى النفسي القائم بالله ودلالة عليه، وأن الذي في المصحف -على ما كشفه بعض من انتقدهم من أئمة السلف.. وسيأتي- مُحدَث، وحروفه مخلوقة، خلقها الله في اللوح المحفوظ فأخذها جبريل من اللوح أو ألَّفها بإلهام الله له، ولم يتكلم الله بها وليست من كلامه على الحقيقة، وانما هي عبارة عنه، وفي عبارة للقاني تعكس مدى اضطرابهم: "أن حقيقة (كلام الله) يطلق على اللفظ أيضاً من باب (الاشتراك اللفظي)، مع المعنى القائم بالنفس".

على أن قولهم بأن الله خلق القرآن في اللوح وأن جبريل أخذه وتكلم به، هو -على حد قول الإمام أحمد- من أخبث الأقوال وأشرها.. كما أن ادعاءهم (الاشتراك)؛ هو من ضيق العطن، لأن (المشترك اللفظي) يطلق على: (اللفظ الواحد له أكثر من معنى على سبيل الحقيقة)، ككلمة (العين) تطلق على: (البئر) وعلى (الباصرة) وعلى (الجاسوس).. إلخ، والقرينة فيه تكون مُعَيِّنة، والأمر هنا ليس كذلك.

هـذا، ولم يقف مُنظِّرو الأشاعرة عند هذا الحد، حتى مالوا إلى أن كلام الله: مجرد معنى واحد وصفة واحدة قامت بالله لا تعدد فيها ولا تجدد، لكن تتنوع تبعاً لمتعلقها، فإن تعلقت بطلب فعل الصلاة مثلاً: فهي أمر، وإن تعلقت بطلب ترك الزكاة: فهي نهي، وإن تعلقت بالحديث عن فرعون: فهي خبر.. وهكذا، وتعلقها بغير الأمر والنهي (تنجيزي قديم)، وأما تعلقها بالأمر والنهي فإن لم يُشترط فيهما وجود المأمور والمنهي فكذلك، وإن اشترط فيهما ذلك كان التعلق فيهما (صلوحياً قديماً) قبل وجود المأمور والمنهي، و(تنجيزياً حادثاً) بعد وجودهما وعند وجود المخاطب بهما.

فكلام الله هو عندهم: نفس معان الأمر والنهي والاستفهام والنداء والإخبار وغيرها مما يقوم بالذات من معاني قديمة، لا يدخلها التجزؤ والانتظام في الحروف كالحسي، ولا تختلف هذه المعاني باختلاف العبارات بل هو معنى واحد.. كذا أفاده ونسبه إلى أهل السنة: البيجوري في (تحفة المريد)، واللقاني في (هداية المريد).

وهو من قبل اللقاني والبيجوري: قول ابن كُلّاب وأبي الحسن الأشعري قبل تراجعه، قالا: (إنه معنى واحد قائم بذات الله، وهو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عُبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عُبر عنه بالعبرية كان توراة)، ويرى أبو المعالي ومن تبعه أنه (مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات)، وعند الماتريدي: (أن كلامه تعالى يتضمن معنى قائماً بذاته لا يُتصور أن يُسمع، هو: ما خلقه في غيره من هواء ونحوه).. كذا ذكره ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص١٠٧، ضمن تسعة أقوال ساقها في مسألة الكلام.

٣-موقف أهل السنة من كلام الأشاعرة السالف الذكر:

وتجدر الإشارة إلى أن ما ذكرناه عن الأشاعرة مغاير تماماً لمعتقد أهل السنة، إذ اعتقادهم الذي دل عليه الكتاب والسنة: أن الله موصوف بصفة الكلام حقيقة؛ وأنه متكلم -على نحو لائق به- بكلام، وأنه يتكلم بمشيئته واختياره بما شاء متى شاء كيف شاء، بحرف وصوت مسموع وبكيفية لا نعلمها، إذ لا يُعقل ولا يُتصور أن يكون ثمة كلام على الحقيقة بغيرهما، وقد وصف تعالى كتابه بأنه (بلسان عربي مبين).. (الشعراء: ١٩٥)، فمعنى كلامه تعالى: معروف ومعلوم، وأما الكيفية: فهي -كذاته وكسائر صفاته- مجهولة لنا، وأن كلامه أحسن الكلام لا يشبه كلام المخلوقين، بل هو صفة أزلية قائمة به سبحانه غير بائنة ولا منفكة عنه، لم يزل ولا يزال يكلم به مَن شاء ويُسمعه على الحقيقة من شاء بصوت نفسه، لم تتجدد له هذه الصفة، ولم يكن ليَحْدُث له وصف الكلام بعد إن لم يكن متكلماً.

بل كونه متكلماً بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة، كما كلم موسى وناداه حين أتاه بصوت نفسه فسمعه موسى.. وإن كان نوع كلامه تعالى قديماً فإن آحاده وإحداث فعله، متجددٌ وهو غير مخلوق، فقد كلم الله موسى ولم يكن كلمه قبل

ذلك.. ومنه يُعلم أن موسى حين جاء كلّمه ربه، لا أنه تعالى لم يزل ولا يزال أزلاً وأبداً يقول: (يا موسى)، وفي هذا ردٌّ على من ما زعموه من أنه سبحانه قد حدث له الكلام بعد أن لم متكلماً، أو أن كلامه معنىً واحدٌ قائم بالنفس لا يُتصور أن يُسمع، وإنه يَخْلُق الصوت في الهواء.

ويعتقد أهل السنة أن كلامه تعالى صفة له قائمة به، لا ابتداء لاتصافه بها ولا انتهاء، فكلماته لا نهاية لها، وأن من كلامه: (القرآن والتوراة والإنجيل)، وكلامه كذاته وكسائر صفاته، نؤمن به ونُثبته له ولا نعلم كيفيته ولا نمثله بشيء من صفات خلقه، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وقد تواتر على ذلك جميع الأنبياء، فكلهم على أن نسبة الكلام إلى الله تقتضي أنه متكلم بكلام وبمشيئة، وأن معنى متكلم: (ذات، قامت بها صفة الكلام)، ومن ثم فأممهم مجمعة كذلك عليه.

وكما أن كلامه لائق به لا يشبه كلام المخلوقين، فكذا صوته لا يشبه أصواتهم؛ لا صوت القارئ ولا غيره، فهو سبحانه متكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح، وليس الصوت المعين قديماً، بل هو من جنس آحاد الكلام غير مخلوق، وكذا هي الحروف: قديمة العين، لازمة الذات، ليست متعاقبة، بل لم تزل قائمة مقترنة بذاته لا تُسبق.. فمن شبه الله بخلقه أو جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته.

٤-القرآن كلام الله تعالى وإنه لَتنزيلُ رب العالمين:

كما يؤمن أهل السنة أن القرآن جميعه الذي يقرأه المسلمون والذي في المصحف هو بمجموع حروفه ومعانيه: كلام الله بالحقيقة وهو غير مخلوق.. وأنه ليس من كلام محمد ولا من كلام جبريل، وإنما هو كلام الله تكلم به، وتلقاه جبريل عن الله وبلّغه، وتلقاه عنه النبي وبلغه، فهو كلام الله المنزَّل من عنده، منه بدأ وإليه ينتهي، فمن قال: إن جبريل أخذه من الهواء أو من اللوح المحفوظ، أو إن الله خلقه في شيء وأخذه جبريل من ذلك الشيء -كما تقول الجهمية والمعتزلة- فهو معطل، إذ لو كان مخلوقاً أو من كلام غير الله، لاستطاع أحد من الناس أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة منه، فلما عجزوا دل ذلك على أنه من كلام الله.

ويؤمنون أنه "كلام الله حقيقة، في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسنة مقروء، وعلى النبي منزَّل، وتلفُّظنا بالقرآن وأصواتُنا به، من أعمالنا المخلوقة، وكتابتُنا وقراءتُنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق.. وما ذكره الله في القرآن حكاية عن موسى وغيره، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كلام الله إخباراً عنهم، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، فلما كلم سبحانه موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يَعلم لا كعلمنا ويَقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا ويتكلم لا ككلامنا".

وعبارة البخاري في معنى ما سبق وكما ورد عنه في (خلق أفعال العباد): "حركاتُهم وأصواتُهم وأكسابُهم وكتابتُهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المُبَيَّن المُثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعَى في القلوب، فهو كلام الله ليس بخلق.. قال ابن راهويه: فأما الأوعية فمن يشك في خلقها؟!، قال تعالى: (وكتاب مسطور في رق منشور) (الطور: ٣)، وقال: (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) (البروج: ٢٢)، فذكر أنه يُحفظ ويُسَطر.. فأما المداد والورق ونحوه فإنه خَلْق، كما تكتب (الله)، فالله في ذاته هو الخالق، وخطك من فعلك وهو خلق".

وكان البخاري قد ساق قبلُ، حديث حذيفة رفعه: "إن الله يصنع كل صانع وصنعته" معلِّقاً بقوله: "فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة"، وموضحاً أن كل شيء دون الله هو بصُنعه.. "والمحفوظ عن جمهور السلف - كما جاء بالفتح ١٣/٤٦٣-: ترك الخوض في ذلك والتعمق فيه، والاقتصار على القول بأن القرآن: كلام الله وأنه غير مخلوق، ثم السكوت عما وراء ذلك"..

وليتهم- أعني الأشاعرة- فعلوا ذلك، إذن لأصابوا مذهب السلف، ولأراحوا واستراحوا..

والى لقاء آخر.. والحمد لله رب العالمين.

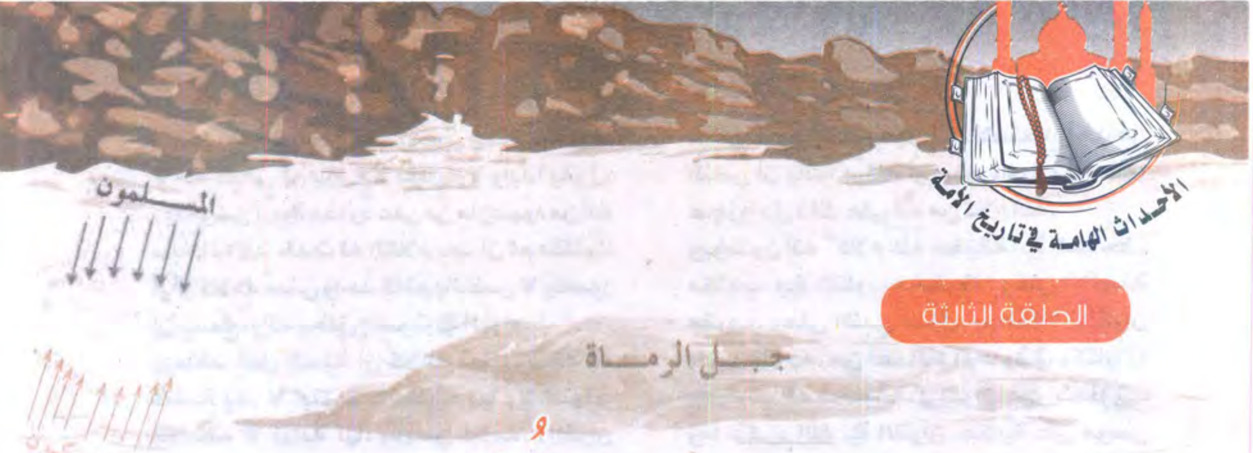

الحلقة الثالثة

غزوة أُحد

(دروس وعبر)

إعداد عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله وحده؛ صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ورسول الله إلى الخلق أجمعين، وبعد:

في اللقاء السابق وقفنا على ختام غزوة أُحد، وخصوصًا إذا ما اعتبرنا غزوة «حمراء الأسد» متمِّمة لغزوة أُحد وخاتمة لها، وهذا ما اعتبره كثيرٌ من المؤرخين، وهذا الأمر يبدو طبيعيًّا ومنطقيًّا، وقد ذكر ابن إسحاق رحمه الله أن غزوة أُحد قد عاد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون منها يوم السبت من نصف شوال، وفي يوم الأحد التالي أذَّن مؤذن رسول الله بطلب العدو وألا يخرج معنا إلا مَن حضر بالأمس، فخرجوا كما وصفهم الله سبحانه: « ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ » (آل عمران: ١٧٢- ١٧٥).

وهذه الآيات تُعتبر ختامًا مناسبًا لغزوة أُحد؛ فالأعداء عادوا أدراجهم ولم يحققوا شيئًا من أهدافهم التي خرجوا من أجلها أساسًا، نعم استطاعوا إصابة المسلمين بجراح عميقة بسبب إهمال الرماة، لكنهم في طريق عودتهم إلى مكة وعندما راجعوا أنفسهم وهم في الروحاء، وهو مكان على مسافة ما يقرب من سبعين كم من المدينة يُسمى (بئر الروحاء)، وهناك راجعوا أنفسهم وأدركوا أنهم لم يُحققوا ما خرجوا من أجله، وعندما فكَّروا في العودة إلى المدينة كان الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة الكرام لهم بالمرصاد، وتمسك المسلمون بحبل الله واعتمدوا عليه، ولم يستجيبوا لوساوس الشيطان وأوليائه في تخويفهم من المشركين، وأصروا على المضي لملاقاة أعداء الله مع ما أصابهم من قرح.

وبهذا الختام عرَّفهم الله فيه نعمته عليهم ورحمته بهم وعفوه عنهم؛ حيث عادوا إلى ربهم تائبين منيبين؛ فكان الله سبحانه هو حسبهم ونعم الوكيل.

ونحن بعون الله وتوفيقه سنحاول استخلاصٍ بعض الدروس والعبر المهمة من غزوة أُحد وما أكثرها وما أحوجنا إليها!، وهذه الدروس والعبر العظيمة قد تناولها القرآن الكريم في أكثر من خمسين آية متوالية في سورة آل عمران كما تناولها في مواضع أخرى متفرقة، ولذلك سيكون مرجعنا في تناول هذه الفوائد والحكم العالية والحقائق الإيمانية العظيمة هو القرآن الكريم، من السياق الأساس في سورة آل عمران، وقد بدأت السورة الكريمة الحديث المباشر عن غزوة أُحد من قوله تعالى: « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (آل عمران:١٢١)، وختمت السورة المباركة بالحديث المباشر عن الغزوة عند قوله تعالى: « مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ » (آل عمران:١٧٩)، وفي هذه الآية الختامية تلخيص لحِكَم عظيمة جاءت في ثنايا الحديث على مدار الآيات؛ فلنحاول بفضل الله اكتشاف ما يوفقنا الله إليه:

أولاً: بناء المجتمع على العقيدة الصحيحة والطهارة في مصدر المال وهو عصب الحياة، ثم تربيته على الاستعداد للآخرة وبذل المال في السراء والضراء والإحسان في معاملة الخالق والمخلوقين، وهذا ما تضمنته الآيات من (١٣٠) إلى (١٣٦) من السورة، والتي جاءت بين الآيات التي تتحدث عن غزوة أُحد والتي لا يشك متدبِّرٍ لآيات الله أنها جاءت وسط آيات غزوة أُحد لهدف عظيم وحكمة سامية؛ ألا وهي تربية المجتمع على هذه الأسس الإيمانية والقواعد الأخلاقية النابعة من تقوى الله وطاعة الله ورسوله؛ لأن المجتمع وهو (الجبهة الداخلية) بمصطلح العصر الحديث هو العمق الاستراتيجي للجيش المقاتل؛ فإن كان هذا المجتمع متآلفًا ومتماسكًا كان سندًا للجيش المقاتل على الجبهة، ومن هذا المجتمع المتكافل المتماسك والمستمسك بحبل الله والمعتصم به سبحانه تخرج الفئة المجاهدة والمتصفة بأسباب النصر.

ثانيًا: الأسس الإيمانية للنصر:

بعد الآيات التي وجهت المجتمع المسلم إلى تقوى الله والرغبة فيما عند الله، وترك الربا بجميع أشكاله، والتوبة النصوح من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، وترك الإصرار على المعصية.

ذلك لأن المسلمين ليسوا ملائكة؛ إنهم بشر يصيبون ويخطئون، لكن المتقين إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون، وقد وصف الله المتقين هنا في هذه الآيات بأنهم قد يقعون في ذنب كبير أو صغير؛ وأنهم إن فعلوا ذلك ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم؛ لأنهم يعلمون أن الله سبحانه هو الذي يغفر الذنب ويقبل التوب، فالفرق بين المتقي وغيره أن المتقي لا يصر على الذنب ويبادر بالتوب، وغير المتقي ليس كذلك بل يصر على ذنبه، وقد يعلنه على الملأ.

ثم عاد السياق القرآني مرة أخرى للحديث عن غزوة أُحد والدروس المستفادة منها، فهذا هدف أساس من أهداف القرآن الكريم حين يوثق أحداث أُحد بهذه الدقة؛ فالأحداث تمر ولا يتعلم منها إلا من

حضرها، لكن حين يوثّقها القرآن ويُعقّب عليها ويستخلص منها الدروس والعبر فإن الأمة بأسرها تنتفع بها على مرّ الأجيال؛ ما دام القرآن يُتلى وينتفع به المتقون في كل زمان ومكان، ولذلك قال الله عز وجل: «هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ» (آل عمران:١٣٨).

ثالثًا: مواساة المسلمين بعد أُحُد ووعدهم بالنصر بشرطه:

قال الله تعالى: «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (آل عمران:١٣٩)، قال صاحب تفسير الوسيط: « وقوله: «إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» جملة شرطية، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله. أي: إن كنتم مؤمنين حقًا فلا تهنوا ولا تحزنوا بل اعتبروا بمن سبقكم ولا تعودوا لما وقعتم فيه من أخطاء فإن الإيمان يوجب قوة القلب، وصدق العزيمة، والصمود في وجه الأعداء، والإصرار على قتالهم حتى تكون كلمة الله هي العليا». ثم قال: «إن كنتم مؤمنين حقًا فاتركوا الوهن والحزن وجدوا في قتال أعدائكم، فإن سُنة الله في خلقه اقتضت أن تصيبوا من أعدائكم وأن تُصابوا منهم؛ إلا أن العاقبة ستكون لكم». اهـ.

وبعد بيان هذه الحقيقة الإيمانية الثابتة اتجهت الآيات الكريمة إلى الحديث عن بعض السنن الإلهية وكشف اللثام عن الحكم العليا الكامنة فيها بوجه عام، وعما وقع في أُحُد على وجه الخصوص.

رابعًا: بعض السنن الإلهية والحكم الكامنة فيها عمومًا وفي أُحُد خصوصًا:

قال الله تعالى: « قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ» (آل عمران:١٣٧). قال الشيخ السعدي: « هذه الآيات الكريمات، وما بعدها في قصة "أحد" يعزّي تعالى عباده المؤمنين ويسلّيهم، ويخبرهم أنه مضى قبلهم أجيال وأمم كثيرة، امتُحنُوا، وابتُلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين، فلم يزالوا في مداولة ومجاولة، حتى جعل الله العاقبة للمتقين، والنصر لعباده المؤمنين، وآخر الأمر حصلت الدولة على المكذبين، وخذلهم الله بنصر رسله وأتباعهم. «فسيروا في الأرض» بأبدانكم وقلوبكم «فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» فإنكم لا تجدونهم إلا معذبين بأنواع العقوبات الدنيوية، قد خوت ديارهم، وتبين لكل أحد خسارهم، وذهب عزهم وملكهم». اهـ.

وقد أشارت الآيات الكريمة إلى بعض هذه السنن والحكمة منها كما يلي:

١- سنة التداول، أو: (المداولة):

قال الله تعالى: «إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» (آل عمران:١٤٠)، وهكذا يبين الله سبحانه وتعالى سُنة التداول بين الناس، فما أصاب المؤمنين في أُحُد من قرح قد أصاب أعداءهم مثله وزيادة في بدر مع الفارق في موقف الفريقين، كما قال الله تعالى: « وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» (النساء:١٠٤).

فالمسلم يرجو إحدى الحسنين؛ النصر، أو الشهادة، أما غيره فلا يريد إلا الدنيا.

ومن حكَم المداولة أيضًا أنه يظهر بها الفرق بين المؤمن الصادق والمنافق، قال الله تعالى: «وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا» (آل عمران:١٦٦، ١٦٧)، وقد ظهر ذلك في أُحُد بجلاء فانسحب ابن سلول ومن معه من المنافقين وكانوا يمثلون ثلث الجيش، وثبت المؤمنون الصادقون في الدفاع عن رسولهم ودينهم حتى خرجوا في اليوم التالي من

بعد ما أصابهم القرح لملاحقة المشركين وهم في طريقهم إلى مكة، ولو كان النصر دائمًا حليف المؤمنين لما انكشف للعيان حقيقة النفاق كما ظهرت يوم أُحُد، كما أنه من سنة التداول وما يصيب المؤمنين من جراح وقتل يكون سببًا في اتخاذ الله شهداء من المؤمنين تكون لهم المكانة العالية عند الله؛ لأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ووعدهم الجنة، كما قال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ » (التوبة:١١١).

٢- سنة التدافع وسنة الابتلاء:

ولقد قرنت بينهما؛ لأنهما سُنَّتان قد يكونان مفترقتين في مجال مواجهة الأعداء في موطن القتال، قال الله تعالى: «وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ » (محمد:٤)؛ فالله سبحانه قادر على إهلاك الكافرين والظالمين بغير مواجهة مع المؤمنين؛ لأن الله سبحانه له جنود السماوات والأرض، وقد أهلك قوم نوح بالطوفان، وأهلك فرعون وجنده بالغرق، وخسف بقارون الأرض، وأهلك قوم عاد بريح صرصر عاتية، وأهلك ثمود بالصيحة، وهكذا لو شاء الله أهلك من في الأرض كلهم جميعًا وما ذلك عليه بعزيز، لكن من حكمته أن جعل التدافع في الأرض بين الناس من أسباب إصلاح الأرض، قال الله تعالى: «وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ » (البقرة:٢٥١)، وقال تعالى: «وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ » (الحج:٤٠-٤١).

فالقتال في الإسلام ليس من أجل مكسب دنيوي عاجل أو لكسب أرض أو الحصول على غنائم عاجلة أو تحقيق توسع واحتلال أرض أو للحصول على الطاقة، وغير ذلك. بل من أهم أهداف القتال في الإسلام هو حماية الدين وحفظ شعائره، والأماكن التي تقام فيها الشعائر ودفع المفسدين في الأرض الذين يتسلطون على العباد وينتهكون الأعراض، ويغتصبون الأموال ويصدون الناس عن السبيل، ولهذا كتبه الله على المسلمين وبيَّن الحكمة في ذلك، فقال الله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّه يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ» (البقرة:٢١٦).

النفس البشرية بالفطرة تكره المشقة والتعب والتضحية بالنفس والمال وبخاصة إن لم يكن هناك مغنم قريب يتحقق كالحصول على مال أو سلطان، لكن القتال في سبيل الله ليس له هدف منظور قريب، فقد يضحي الإنسان بنفسه وماله ولا يحصل على مكسب قريب إلا إذا كان صادقًا في إيمانه بوعد الله وكانت غايته الجنة، وبهذا وصف الله الصادقين في إيمانهم، فقال سبحانه: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّه وَرَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» (الحجرات:١٥).

وهنا نكتفي بهذا القدر من الفوائد التي يسرها الله تعالى لنا، وما خفي علينا أعظم مما ذكرنا، ويناسب أن نختتم بما ختم الله به في قوله تعالى: «مَا كَانَ اللَّه لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّه لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّه يَجْتَبِي مِنْ رُسُله مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّه وَرُسُله وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (آل عمران:١٧٩) أي: حققوا الإيمان.

والى لقاء مع حدث آخر من الأحداث الهامة في حياة الأمة

حصاد الفتن

إعداد **د. عماد عيسى**
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله على تظاهر آلائه وجميل بلائه وصلى الله على نبينا محمد سيد أصفيائه وعلى آله وصحبه ومن تبعه من أحبابه وأوليائه، وبعد:

فَلَقَدْ تَجَشَّمتُ بالحديث عن الفتن وعلاج آفاتها مُرْتَقَى صَعْبًا لَسْتُ لَهُ بِأَهْلٍ حَقًّا، لَكِنَّهَا المحاولة الجادة لأداء حقٍّ حقيق بالتَأدية في هذا الزمان المضحك لكنه ضحكٌ كالبُكا، كما قال القائل.

وهذه المحاولة من أجل القيام بالنصيحة الواجبة للمسلمين التي أرجو الله تعالى أن يقضي بها بعض الحق عني، ولعل الله تعالى أن ينفع بها؛ فإنه سبحانه بما شاء نفع ولا قوة إلا به.

ولقد علمتُ أنه لَا يَسَعَني إِلَّا الإِنْكَارُ عَلَى مَنْ وقع في الفتن بعد أن بلغ وجاوز حدَّ الإكثار، ولم يَحُلَّ من نفسه عُقْدَةَ الإصْرار، فاجتهدتُ في بيان خَطَرها، وعملتُ على بَثِّهَا وَدَعوة النَّاسَ إِلَيْهَا، مُنَافَحَةً عَنْ ديني، وتثبيتًا لإخواني وأخواتي من المسلمين والمسلمات، وَمُحَامَاةً عَنْ ضُعَفَاءِ النَّاسِ وَأَهْلِ الْغَفْلَة أن يضلوا بِهَا، أو أن يُفتَتنوا، لا سيَّما وأن من يَنْشُر الفتنَ أناسٌ لا يعرفُون مَدَاها ولا يُدْركون مُنْتَهَاها، وأكْثَرُهم - فيما أحسب- لا يَقْصد الشَّرَّ ولا يتعمَّدُهُ، لكنَّهم أُتُوا من قِبَلِ جهلهم بأحكام الشَّرع مع عدم درايتهم بأيام الله تعالى وتاريخ من كانوا قبلنا، فالواجب علينا أن نَفْطَنَ لعثرات كل مُتَعَثِّر إن هُوَ غَشَّ، أو كان مخدوعًا وغُشَّ، أو متأولًا معذورًا، فَكُونُوا منْهُم ومن غيرهم عَلَى حذر، ولا تتماروا بالنذر.

ولعلها أيضًا أن تكون من أداءِ حقِّ العلم أيضًا في هَيْئَةٍ زَهِيَّة، وَحُلَّة بَهِيَّة تَرُوقُ لَهَا الأَعْيُنُ، وَتُسَرُّ بِهَا الأَنْفُسُ وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى سَبِيلِ المُقَارَبَة كما قال صلى الله عليه وسلم: «سدِّدُوا وقارِبُوا».

ولا شَكَّ أنَّ المنصفَ يشهدُ بالخير إنْ وجدَهُ، ويُقيلُ العثرةَ إنْ عَثَرَ عليها.

أمَّا المتَعَسِّفُون الذين تنطوي قلوبهم على غلٍّ للذينَ آمنوا فلا اعتبَارَ لوَعْوعَتِهم ولا اعْتدادَ بوَسْوَسَتهم، بل هؤلاء نذرهم يعضُّون على صمِّ الحَصَى كمدًا، إذْ إنَّهم جَهِلُوا منازلَهُم، ولم يعرفوا مقاديرَهم، وقد قدَّر الله تعالى الناسَ مَنازلَ، وفضَّل بعضَهم على بعض حتى صاروا درجاتٍ متفاوتةً، ومنازلَ متباعدةً كما قدَّر القمرَ منازلَ حتى صار كالعرجُونِ القَديم، وصدَقَ الله تعالى حين قَالَ: «وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ» (الصافات: ١٦٤).

ومَن ذا الذي يَنْجُو من الناس سَالمًا
وللناسِ قَالٌ بالظُّنونِ وقِيلُ

إن حصاد الفتن لا يكاد يصفه قلم ولا ينعته لسان، ومما يدل على ذلك ما كان في عهد الصحابة وهم خير القرون؛ فإن الفتن عصفت بأيامهم عصفًا وفرَّقت الناس فِرَقًا، مع قلة من خاض فيها منهم، فما بالك بزمان كزماننا الذي خاض في الفتن كل خائض.

قال ابن سيرين: «قامت الفتن فلم يدخل فيها من الصحابة إلا كذا وكذا رجلاً» يعني القليل أو كما قال.

فإذا كان هؤلاء لم يسلموا منها وهم السادة فما بالك بمن بعدهم من قرناء الوسادة.

فالكل لا بد أن يبتلى ويمتحن والناس في أصل ذلك سواء المُؤْمِنُ والكافر والبر والفاجر والمطيع والعاصي، ثم يفترقون في الصبر والاحتساب أو في العجز والسخط على المقدور.

أصناف الناس في الفتن:

أَمَّا أَهْلُ الإِيمَانِ فَإِنَّهَا تَزِيدُهُمْ ثَبَاتًا عَلَى دينهمْ ويزدادون إيمانًا إِلى إيمانهم، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ ممَّنْ يَعْبُدُ اللَّه عَلَى حَرْفٍ وَشَكٍّ؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ الله تعَالَى: «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن

يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ » (الحج: ١١).

فهذا الصنف يَدْخُلُ في الدِّين عَلَى طَرَف، فَإِنْ وَجَدَ مَا يُحِبُّهُ اسْتَقَرَّ، وَإِلَّا انْشَمَرَ وانزعج، فإذا وُسِّعَ عليه في معيشتِه وصح له جسمه آمَنَ وإلا أَتَاهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَصَبْت مُنْذُ كُنْت عَلَى دينك هَذَا إِلَّا شَرًّا، فينقلب على عقبيه وَذَلِكَ هُوَ الْمَفْتُونُ وَتِلْكَ هِيَ الْفِتْنَةُ.

وَمَثْلُ هَذَا يَجْعَلُ فِتْنَةَ النَّاس كَعَذَاب اللهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ » (العنكبوت: ١٠).

منْ آثار ركوب الفتن:

إنَّ الفتن مركبها شديد، ومذهبُها بعيد، وإذا قامت الفتن -أعاذنا الله منها- غشي الناس ما غَشِيَهُم من الحيرَةِ والتَّرَدُّد وضُربتْ الحجُبُ على أكثر العقول وأرخِيَتْ الستُور فغابت المعرفة كغياب الشمس عند الأفول، وقلَّ في النَّاس من يعرفُ ساعَتها المخْرَجَ أو يُبْصرُ ببَصيرته المآلَ.

فإذا انجلى ما غشيها من الظلام انكشف قناع الحق وظهر الصواب من الخطأ وبان الصدق من الكذب وبدا ما كان خافيًا على الناس لكن بثمن باهظ وخسارة فادحة من الإيمان والأرواح والأنفس والأموال والثمرات وغير ذلك؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

قال الإمام البخاري: «قَالَ اللَّيْثُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيد، عَنْ سَعِيد بْنِ الْمُسَيَّبِ: وَقَعَت الفِتْنَةُ الأُولَى- يَعْنِي مَقْتَلَ عُثْمَانَ- فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ وَقَعَت الفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ،- يَعْنِي الحرَّةَ- فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ الحُدَيْبِيَةِ أَحَدًا، ثُمَّ وَقَعَت الثَّالِثَةُ، فَلَمْ تَرْتَفِعْ وَلِلنَّاسِ طَبَاخٌ. (صحيح البخاري: ٤٠٢٤).

قَال الحافظ ابن حجر: «قَوْلُهُ: وَقَعَت الْفِتْنَةُ الْأُولَى يَعْنِي مَقْتَلَ عُثْمَانَ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ أَحَدًا أَيْ: أَنَّهُمْ مَاتُوا مُنْذُ قَامَت الْفِتْنَةُ بِمَقْتَلِ عُثْمَانَ إِلَى أَنْ قَامَت الْفِتْنَةُ الْأُخْرَى بِوَقْعَةِ الْحَرَّة وَكَانَ آخر مَنْ مَاتَ مِنَ الْبَدْرِيِّينَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاص، وَمَاتَ قَبْلَ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ بِبِضْعِ سِنِينَ وَغَفَلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ قَوْلَهُ في الْخَبَرِ يَعْنِي مَقْتَلَ عُثْمَانَ غَلَطٌ مُسْتَنِدًا إِلَى أَنَّ عَلِيًّا وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْبَدْرِيِّينَ عَاشُوا بَعْدَ عُثْمَانَ زَمَانًا؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُمْ قُتِلُوا عِنْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ وَلَيْسَ ذَلِك مرَادًا.

وَقد أخرج بن أَبِي خَيْثَمَةَ هَذَا الْأَثَرَ مِنْ وَجْه آخَرَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيد بلَفْظ «وَقَعَتْ فِتْنَةُ الدَّارِ الْحَدِيث وَفِتْنَةُ الدَّار هِيَ مَقْتَلُ عُثْمَانَ».

وَزَعَمَ الدَّاوُدِيُّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفِتْنَةِ الْأُولَى مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَهُوَ خَطَأٌ؛ فَإِنَّ في زَمَنِ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْبَدْرِيِّينَ مَوْجُودًا.

قَوْلُهُ ثُمَّ وَقَعَت الْفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ يَعْنِي: الْحَرَّةَ إِلَخْ كَانَتْ الْحَرَّةُ في آخِرِ زَمَنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ».

نصائح في أزمان الفتن

أولًا: كنْ عاملًا بإعلان السنن، وإعلاء أمور الدين، وإظهار شعائره في كل ناد، وارفع صوتك به ليسمعه من بَعُدَ ومن قَرُبَ، ولا يَزَالُ الله تعالى يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّين بغَرسِ الإيمانِ وَنَبْتِ الإسلَام فَالحقّ بِهِمْ عَسَى أَنْ تَكُونَ منهم.

ثانيًا: لا تَأْمَنْ إلَى فتنَة مَهمَا هَانَ أمرُهَا في بَصَرك، وصَغُرَ شَأْنُهَا في نَظَرك، فإنَّها تَبْدو صغيرَةً ثم يحيط بالمرء سُرَادقُهَا فلا يَسْتَطيعُ الخُرُوجَ، بَل اجعَلْ شعَارَك ما قاله يُوسُفُ عَلَيْه السَّلَامُ: «رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلَيَّ ممَّا يَدْعُونَنَي إلَيْه وَإلَّا تَصْرف عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إلَيْهِنَّ وَأَكُنْ منَ الْجَاهلينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إنَّهُ هُوَ السَّميعُ الْعَليمُ» (يوسف: ٣٣- ٣٤)، وليكُنْ شعارُكَ «احذر الفتن» فإنها كالأفاعي والعقارب يَلينُ مَلْمَسُهَا وَالعَطَبُ فيهَا.

إنَّ الْأَفَاعيَ وَإنْ لَانَتْ مَلَامسُهَا ××× عنْدَ التَّقَلُّب في أَنْيَابهَا الْعَطَبُ

ثالثًا: قد يضلُّ في الفتن عقلُ ذي العقل وتذهبُ حكمةُ الحكيم فاتَّخذْ عالمًا ذا بَصَر يهديك.

رابعًا: أصلحْ سريرتَك، ونقِّ باطنَك، وطيِّب دوَاخلَك، فلا تَنْطَوي على شكٍّ أو ريب أو دخَن واجْتَنبْ غَمْرَةَ الفتَن، وَإلَّا تَفْعَلْ رَجَعْتَ بالْبَخْس وَالْغَبْن.

خامسًا: إننا في أيام نَحسَات، بل في يوم نَحْس مُسْتَمرٍّ، ولم يبق من الخير إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابُّها أحدُنا، ومع ذلك يقع فيها التفريط على قلَّتها فتَتَولَّاها أيدي العابثين، ويُسمع لكلام العائثين، فاحرص على الخير تكن من أهله.

سادسًا: اتَّبعْ ولا تبتدعْ فإنَّنا في زمانِ اتَّخذ بعضُ الناس من الشرائعَ للإفساد ذرائع، وجعلوا من قواعد الشريعة وما فيها من قوانين رحمة كوانين إحراق وعذاب ونقمة، كل هذا بالتلاعب بالنصوص وعدم الرجوع إلى الأثبات من أهل العلم.

نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكفارات

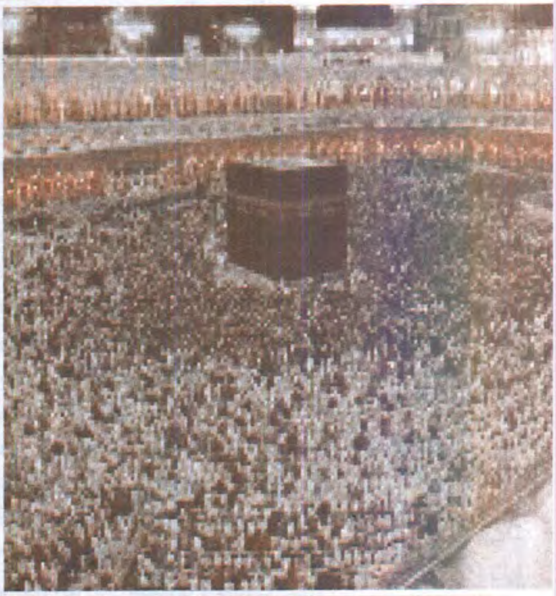

مكفرات الذنوب العامة

إعداد **محمد عبد العزيز**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تحدثنا في العدد السابق عن الكفارات، وأنها أثر من آثار رحمة الله بعباده، وإرادته الخير لهم، وتناولنا فيه: معنى الكفارات لغةً واصطلاحًا، ودليلها من الوحيين، وأنها تنقسم إلى قسمين: كفارات خاصة، وكفارات عامة، وقد تحدثنا باختصار عن القسم الأول، ثم عرجنا على الكفارات الخاصة في الحج تمثيلاً لهذا القسم.

وقد قسمت هذا المقال إلى قسمين:

القسم الأول: أذكر فيه بعض خصائص الكفارات الخاصة؛ حتى تكتمل الصورة الذهنية للقسم الأول، وذلك استكمالاً للمقال السابق.

القسم الثاني: أتناول فيه الكفارات العامة باختصار، وأتحدث فيه عن شيئين:

الأول: تعريف الكفارات العامة.

الثاني: أقسام الكفارات العامة، وأمثلة كل قسم.

فأقول وبالله التوفيق:

الكفارات الخاصة: هي كل ما قدر في الشرع تكفيرًا لما فيه صورة مخالفة، وهذه الكفارات كما سبق متفرقة في أبواب الفقه، وهي كثيرة، ومن أمثلتها: كفارة الحنث في اليمين، كفارة النذر، كفارة من أتى حائضًا، كفارة الجماع في نهار رمضان، كفارة من ارتكب محظورًا أو ترك واجبًا في الحج، وغيرها كثير.

وهذه الكفارات الخاصة لها خصائص تتصف بها، وسأذكرها في ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تنقسم الكفارات الخاصة باعتبار المُكَفَّر به إلى ستة أنواع، وهي:

١ - غرامات مالية، مثل كفارة من أتى حائضًا لحديث ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: في الذي يأتي امرأته وهي حائض، قال: «يتصدق بدينار، أو بنصف

دينار» أخرجه أبو داود (٢١٦٨)، الترمذي (١٣٦)، (١٣٧) والنسائي (٢٨٩) وابن ماجه (٦٤٠).

٢ - عتق رقبة، مثل كفارة الظهار، لقوله تعالى: «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا» (المجادلة: ٣).

٣ - صيام، مثل كفارة محظورات الترفه: «فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ» (البقرة: ١٩٦).

٤ - إطعام، مثل كفارة الظهار، لقوله تعالى: «فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا» (المجادلة: ٤).

٥ - كسوة، مثل كفارة الحنث في اليمين، لقوله تعالى: «فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ» (المائدة: ٨٩).

٦ - ذبح، مثل كفارة محظورات الإحرام، لحديث عبد الله بن معقل، قال: قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد يعني مسجد الكوفة، فسألته عن فدية من صيام، فقال: «حُمِلْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي. فَقَالَ: مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ الْجَهْدَ قَدْ بَلَغَ بِكَ هَذَا، أَمَا تَجِدُ شَاةً؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ، وَاحْلِقْ رَأْسَكَ. فَنَزَلَتْ فِيَّ خَاصَّةً وَهْيَ لَكُمْ عَامَّةً» أخرجه البخاري (٤٥١٧)، ومسلم (١٢٠١).

- وقد ذكر بعض الباحثين قسمًا سابعًا، وهو الكفارات المركبة فتجمع بين أمرين كالغرامة المالية، والعتق، وقد مثل له بكفارة القتل الخطأ؛ لقوله تعالى: «وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ» (النساء: ٩٢).

والصحيح أن الغرامة المالية هنا - الدية - عقوبة لا كفارة، وهي حق لأولياء الدم محض يسقط بإسقاطهم، فليست كفارة بالمعنى الاصطلاحي.

وهذه الكفارات في جمهورها متعدية النفع إلى الغير سوى نوع واحد منها، وهو الصوم فنفعه قاصر على صاحبه.

القسم الثاني: الكفارات الخاصة باعتبار مراتبها، فتنقسم بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام:

١ - كفارات معينة، مثل كفارة ترك الواجب في الحج والعمرة، لحديث ابن عباس- رضي الله عنهما-: «مَنْ نَسيَ منْ نُسُكه شَيْئًا، أَوْ تَرَكَهُ فَلْيُهْرِقْ دَمًا» أخرجه مالك في الموطأ (٢٤٠).

٢ - كفارات مرتبة، فلا يجوز له الانتقال من كفارة إلى التي تليها إلا بالعجز عنها، ومن أمثلة ذلك كفارة الظهار فهي مرتبة بين ثلاث كفارات مرتبة، وهي: عتق رقبة، فإن لم يجد صام شهرين متتابعين، فإن عجز أطعم ستين مسكينًا؛ لقوله تعالى: «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (المجادلة: ٣، ٤)

٣ - كفارات على التخيير، ومن أمثلة ذلك القسم كفارة اليمين، فهو مخير فيها بين الإطعام، والكسوة، والعتق؛ لقوله تعالى: «فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ» (المائدة: ٨٩).

وقد جمعت كفارة اليمين بين التخيير والترتيب، فالثلاثة الأولى على

التخيير، فإن عجز عن فعل واحد منها انتقل إلى الصيام.

القسم الثالث: الكفارات الخاصة باعتبار المكفر به والآخذ للكفارة، فهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما حُدِّد فيه المكفر به والآخذ للكفارة، مثل كفارة محظورات الترفه، ففي حديث عبد الله بن معقل: «أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ.» أَخرجَه البخاري (٤٥١٧)، ومسلم (١٢٠١).

فقد حدد في هذا النوع من الكفارات:

أ- المكفر به، وهو إطعام نصف صاع.

ب- الآخذ، وهو ستة مساكين.

فهذا النوع يشترط فيه ثلاثة أمور:

الأول: أن يكون الآخذ للكفارة العدد المحدد، فلا يصح على الراجح أن يطعم مسكينًا ستة أيام.

الثاني: التمليك للكفارة، فلا يصح عند الجمهور أن يدعوهم على الطعام، بل لابد من تمليكهم له.

الثالث: أن يوفي الآخذ للكفارة ما حدد نصف صاع، فلا ينقص عنه.

النوع الثاني: ما حدد فيه الآخذ للكفارة ولم يحدد فيه المكفر به، مثل كفارة اليمين، لقوله تعالى: «فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ» (المائدة: ٨٩).

فقد حدد الآخذ بعشرة مساكين ولم يحدد كم طعامهم، أو كسوتهم.

فيشترط فيه شرطٌ واحدٌ وهو عدد الآخذين، فلا يصح أن يكسو واحدًا عشر قطع، ولا أن يطعمه عشرة أيام.

لكن يصح فيه ما سمي طعامًا مشبعًا، وما سمي كسوة؛ لأنهما غير محددين، ويصح أن يدعوهم على طعام أعده لهم على الراجح، ويصح تمليكهم له إجماعًا.

النوع الثالث: ما حدد فيه المكفر به، ولم يحدد فيه الآخذ للكفارة عكس القسم الأول، ككفارة من ترك واجبًا من واجبات الحج أو العمرة، فقد سبق أن عليه ذبح شاة لمساكين الحرم، ولم يحدد الآخذ للكفارة.

فهذا القسم يشترط فيه شرط واحد وهو هنا ذبح شاة، ولا يشترط فيه الآخذ للكفارة فقد يستحقها واحد، وقد يستحقها أكثر، وكلاهما مجزئ على الراجح إن شاء الله تعالى.

أما القسم الثاني من المقال:

الكفارات العامة، أو مكفرات الذنوب العامة، فأقول وبالله التوفيق:

الكفارات العامة: هي كل ما من شأنه أن يستر الذنب ويمحوه ويذهبه سواء كان كبيرة أو صغيرة، فما من ذنب إلا وقد شُرِعَ له مكفرٌ، وما من عقوبة أخروية إلا وقد جعل الله للعبد منها مخرجًا، وهذا القسم كثير جدًّا، وقد جاء التنصيص عليه في الوحيين، وهذا النوع يذكره العلماء متفرقًا في كتب الفضائل، والآداب، والرقائق، والأخلاق، وغيرها.

وهذه الكفارات العامة تنقسم في الجملة إلى أربعة أقسام استقراء:

القسم الأول: الطاعات التي يقوم بها العبد فتكفر الذنوب والخطايا.

القسم الثاني: التروك، وأعني بها اجتناب نوع من الذنوب؛ فيكون في اجتنابه تكفير نوع آخر.

القسم الثالث: المصائب والملمات التي تصيب العبد فتكفر الذنوب والخطايا.

القسم الرابع: التوبة النصوح.

فمن أمثلة القسم الأول: الطاعات التي يقوم بها العبد فتكفر الذنوب والخطايا:

١ - صيام التطوع سواء كان عامًّا في أي يوم، أو خاصًّا بيوم بعينه.

دليل الأول: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-

: «من صام يومًا في سبيل الله، باعد الله بذلك اليوم النار من وجهه سبعين خريفًا.» أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

دليل الثاني: عن أبي قتادة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «صيامُ عرفةَ: إني أحتسبُ على الله أن يكفِّر السنةَ التي قبله، والسنةَ التي بعده، وصَومُ يوم عاشوراء: إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله.» أخرجه مسلم (١١٦٢/١٩٦)، وأبو داود (٢٤٢٥)، والنسائي (٢٣٨٣)، والترمذي (٧٦٧)، وابن ماجه (١٧١٣)، (١٧٣٠).

٢ - فعل الفرائض كالصلوات المكتوبات، عن أبي هريرة، أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ.» أخرجه مسلم (٢٠٩).

٣ - صلاة الجمعة، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن اغتَسَلَ يومَ الجمُعة، ولَبِسَ من أحسَنِ ثيابه، ومسَّ من طَيبٍ إن كانَ عندَه، ثمَّ أتَى الجُمُعةَ فلَم يَتَخَطَّ أعناقَ النَّاس، ثمَّ صلَّى ما كتبَ الله له، ثمَّ أنصَتَ إذا خرجَ إمامُه حتَّى يَفرُغَ منَ صَلاته، كانت كفارةً لِمَا بينها وبينَ جُمعته التي قبلَها» قال: ويقول أبو هريرة: «وزيادةُ ثلاثة أيام»، ويقول: «إنَّ الحسنةَ بعَشرِ أمثالِها» أخرجه أبو داود (٣٤٣) وأحمد (١١٧٦٨).

٤ - الوضوء، عن أبي هريرة أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا تَوَضَّأ العبد المسلمُ-أو المؤمنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتْ مِن وَجهِه كُلُّ خَطِيئةٍ نَظَرَ إليها بعَيْنَيه مَعَ الماء-أو مَع آخر قَطر الماءِ- فَإذا غَسَلَ يَدَيه خَرَجَتْ من يَدَيه كُلُّ خَطيئَةٍ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَع المَاء-أو مَع آخرِ قَطرِ المَاء- فإذا غَسَلَ رجْلَيه خَرَجَتْ كُلُّ خَطيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاهُ مَع المَاءِ-أو مَع آخرِ قَطْرِ المَاءِ-قال: حتّى يَخْرُجَ نقيًّا مِنَ الذُّنُوب» أخرجه مسلم (٢١٥).

فهذه أمثلة لتكفير الطاعات للذنوب والخطايا وغيرها الكثير لاسيما المتعدي في نفعه منها كالصدقة، وإغاثة الملهوف، والسعي على الأرملة، وكفالة اليتيم، وقضاء حوائج الناس، والسعي في الصلح بينهم، ونشر العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي عند جماهير أهل العلم مشروطة باجتناب الكبائر.

أما القسم الثاني: وهو التروك التي في اجتناب نوع منها تكفير لنوع آخر: فهي كبائر الذنوب والموبقات فإذا اجتنبت تعبدًا وامتثالاً لأمر الله كفر الله باجتنابها صغائر الذنوب، ومن أدلة ذلك:

١ - قوله تعالى: « إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا » (النساء: ٣١).

فجعل امتثال المؤمن باجتناب الكبائر مكفرًا لصغائر الذنوب، علمًا أنه مثاب على هذا الاجتناب فوق ذلك.

٢ - قوله تعالى: « الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ » (النجم: ٣٢).

٣ - قوله تعالى: « وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ » (الشورى: ٣٧)

فجعل ذلك من الممادح التي ينال به المغفرة، والجنة، والنصرة.

واجتناب هذا القسم من الذنوب والخطايا فضلاً عن تكفيره الصغائر؛ فالعبد مثاب بتجنبه، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يأخذ مني خمس خصال فيعمل بهن، أو يعلمهن من يعمل بهن؟ قال: قلت: أنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: فأخذ بيدي فعدهن فيها، ثم قال:

- اتق المحارم تكن أعبد الناس.
- وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس.
- وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا.
- وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا.

ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب.» أخرجه الترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجه (٤٢١٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٥٢)، وصحح الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٣٠).

أما القسم الثالث:

المصائب والملمات التي تصيب العبد فتكفر الذنوب والخطايا فمن أدلتها:

١ - عن عائشة، أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ يُصَابُ بِهَا المسلمُ إلا كفَّرَ بهَا عنهُ، حتى الشَّوكَةُ يُشَاكُهَا.» أخرجه مسلم (٥٣١٧).

٢ - عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمَّ يُهِمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ عَنْهُ مِنْ سَيِّئَاتِه» أخرجه البخاري (٥٣١٨)، ومسلم (١٩٩٢). (والوصب: بفتحتين كالمرض وزنًا، وقيل: هو المرض اللازم ومنه قوله تعالى:«وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ» (الصافات: ٩)؛ أي: لازم ثابت، والنصب: كالتعب وزنًا ومعنًى، أي: لا يصيبه نصب ومرض، ولا وصب وتعب، السقم: بفتح السين والقاف، وبضم السين وإسكان القاف لغتان، وهو طول المرض، والحزن: بفتح الحاء والزاي قال تعالى: «وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ» (فاطر: ٣٤)، وبضم الحاء وسكون الزاي قال تعالى:«وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ» (يوسف: ٨٤) كلاهما الغم، والهم: ما ينشأ عن الفكر فيما يتوقع حصوله مما يتأذى به، والغم: كرب يحدث للقلب بسبب ما حصل، وقيل: الهم والغم واحد.)

٣ - عن أبي هريرة أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: «يَقُولُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْه فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الجنَّة.» أخرجه الترمذي (٢٤٠١)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

حبيبتيه: تثنية حبيبة، والمراد بهما: عيناه، وأطلق عليهما ذلك لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه، وأنفعهما له.

أما القسم الرابع: فهو التوبة النصوح.

هذا القسم لا يترك الله به ذنبًا إلا غفره حتى أعظم الذنوب وهو الكفر؛ فإن التائب منه يكفر عنه ما قد سلف، قال تعالى: «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ» (الأنفال: ٣٨)، وكذا من أذنب في الإسلام ذنبًا وإن عظم فإنه يكفر بالتوبة، قال تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (الزمر: ٥٣). وله شروط تطلب في محلها.

هذا ما يسره الله تعالى في هذا المقال، والحمد لله أولاً وآخرًا ظاهرًا وباطنًا.

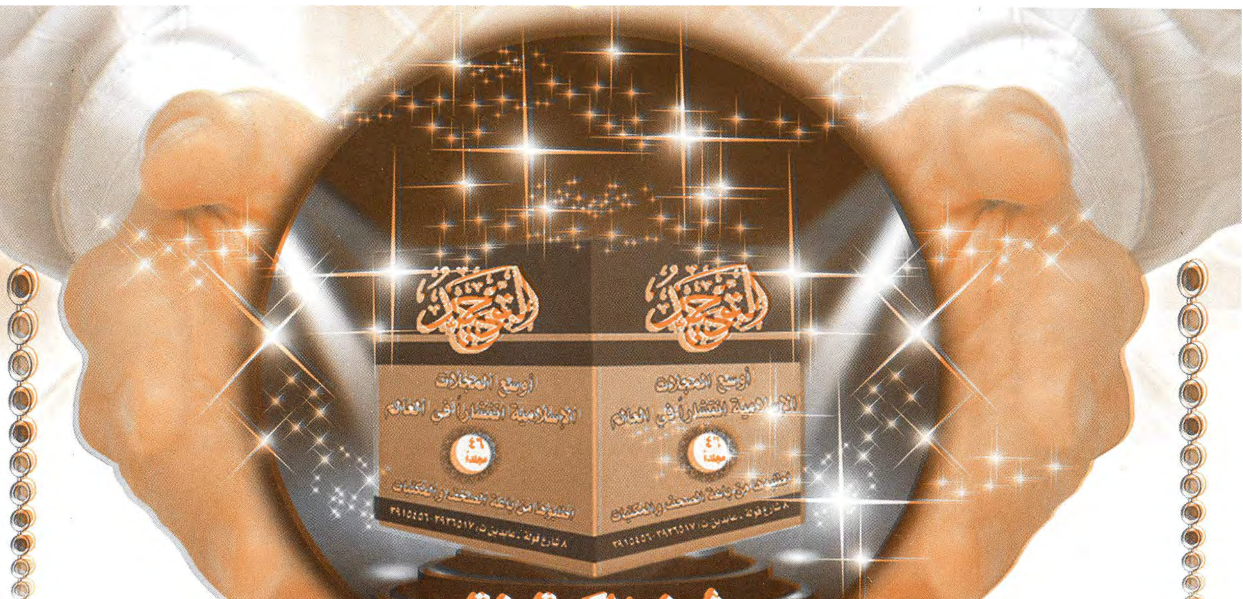
التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٦ مجلدة
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

ثمن الكرتونة
١٠٥٠ جنيه

مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تراث إسلامي

المكتبة الإسلامية

المكتبة العامة

مكتبتك الخاصة

الأسرة المسلمة

لا يستغني عنها بيت مسلم

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
- كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

للاستفسار .. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد

☎ 23936517

تمور
الطحان ®
أصالة الزمان
جئنا لنتفوق ..
وعليك أن تتذوق
على شهادة
ISO
22000
Safety Seal
تمور
الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
بكل فخر صنع في
مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com

خدمة العملاء

01284447778
01128911113

(+2) 01067717725

Altahhan.goldendates

محافظة الوادي الجديد

قلعة صناعة التمور فى مصر